

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرسائل النبوية إلى الملوك والأمراء وأثرها في الدعوة

بسام خضر الشطي

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه، وبعد: فإن السيرة لم تنزل معينا صافيا لمن نظر إلى أحداثها لأخذ العبرة، ولم يتخذها قصصا تردد في المجالس، أو قصائد للإنشاد، وما أحوجنا إلى دراسة مستفيضة تعود علينا بالريح الوافر في كشف كثير من أمورنا. ولئن اتجه الناس إليها واردين على اختلاف مشاربهم لينهلوا من معينها، فإن الحاجة تدعو الدعاة أن يضربوا معهم بسهم، ويتوجهوا للاستفادة منها في معالجة أوضاعنا، ولا بد أن يرسل الدعاة واردهم ليدي دلوه فيعود بها يشفي الغليل.

وهناك ثلاث طوائف يجب أن تؤدي دورها في هذه الدراسة المنشودة، ولا تتعارض في عملها:

- الأولى وهي التي تأتي إلى أحداث السيرة بالتحقيق والتدقيق، وتجمع ما وهن فتجعله ركاما، فإذا تزيل الواهن تمحضت بعد ذلك الروايات الصحيحة المقبولة الصالحة للاستفادة منها.
- ثم تأتي من ورائها طائفة ثانية وتقوم بترتيب فصول السيرة، وتوضح أحداثها بصياغة مقبولة يستفيد منها الناس.

- أما الطائفة الثالثة فتناط بها مهمة صعبة، وذلك من خلال مرتبتين: إحداهما: استنباط أحكام المواقف الثابتة في السيرة، والوقوف مع فقهها، والمرتبة الثانية: دراسة مستفيضة للواقع الذي نعيشه بأدوائه، ومكامن الخلل فيه، فإذا صحت هاتان المقدمتان أنتجتا المطلوب وهو الدواء الناجع، ومعرفة الخروج من التيه الذي استحكمت شره وتطايير شره، وهذه مرتبة عزيزة.

وبيان ما سبقت الإشارة إليه ورد به الحديث الصحيح عند الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه

مرفوعا: "نصّر الله امرأ سمع مقالتي، فوعاها وحفظها وبلغها، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه".

إننا نريد أن نسلط الضوء على رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، ونستفيد من دراستها في الدعوة إلى الله تعالى، فما أخرجنا إلى استنباط هدي النبي صلى الله عليه وسلم الذي سار عليه في مخاطبة العالم ونسير على خطاه، ولا يتأتى هذا إلا بعد أن نفهم هذا الهدى كما هو، وندرس واقعنا لتأتي الثمرة بعد ذلك يانعة إن شاء الله تعالى.

الهدف من البحث:

وقبل أن أُلج أبواب البحث، وأخوض غمار هذه الدراسة أقف بكم عند العتبة على الغاية من التأليف، فقد اخترته بعد الاستعانة بالله عز وجل وتحرير بيان مواضعه حين سألتني من يعز علي سؤاله من أحبتي في العالم العربي أن أجرد الأقلام وأحضر الأسفار وأشد المئزر حتى أنال المقصود بعون الواحد المعبود، فبينما أنا أتردد تردد الحائر المعترف بالقصور إذ لاح لي ثمرته، فشرعت في كتابته متمثلاً ما قاله عبد الصمد بن المعدل^(١):

ليس لي عذر ولي بلغة
إنما العذر لمن لا يستطيع

خطة البحث:

تأتي هذه الدراسة في مبحثين بين المقدمة والخاتمة، والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع بهذه الدراسة كاتبها وقارئها وناشرها، وأن تكون عوناً للدعاة في دعوتهم إلى الله عز وجل وبالله التوفيق.

المقدمة:

لقد كانت الدولة الناشئة في المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم تعيش غربة في واقع معقد من النواحي المختلفة، فالقبائل العربية التي تحيط بها كانت لها طريقتها التي تحكمها، ثم يأتي ملوك العرب الذين لهم قوانين خاصة بملكهم، ويغلب هؤلاء وأولئك دولتان عظيمتان هما فارس والروم، فتتج عندنا ثلاثة أنماط من الحكم تحيط بالدولة الإسلامية الفتية في المدينة والتي يريد النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة ملوكها وأمرائها وهي:

- قبائل تلقي بالرسن إلى شيوخ يتحكمون في شؤونها.
- ملوك متوجون لهم ملك واسع في اليمن وعمان والحيرة والشام.
- الفرس الذين يتحكمون في الناحية الشرقية والجنوبية من الحجاز، والروم الذين يتحكمون في الناحية الغربية والشمالية منه، فتحيط هذه الأنماط بدولة الإسلام إحاطة السوار بالمعصم.

١- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، المكتبة العصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٦٢م، ٢١/١.

والدراسة الجغرافية والتاريخية والسياسية والفكرية تأتي قبل مناقشة خطاب النبي صلى الله عليه وسلم للملوك، حيث تقود معرفة أحوالهم المختلفة إلى فهم محتوى الرسائل.

أما القبائل العربية فقد كانت تحكم من قبل الشيوخ، النافذ حكمهم لما تحملوه من شأن القبيلة من القيام بأعبائها السياسية في إقامة الأحلاف والعلاقات القوية مع الآخرين، وكذلك مشقة توفير العيش، وإعلان الغزو وقسمة الغنائم، وإدارة شؤون القبيلة وحل الخلافات، ولذا لا بد أن يتصف الشيخ بالصبر والحلم والشجاعة والكرم.

ومقابل هذه الأعباء فإن له مميزات كبيرة يحرصون بها، وإن كانت لا تفي بالأثقال التي تحملها، فله الكلمة المسموعة والتصدير في المجالس، وله أيضاً ما يختاره من الغنيمة كما عبر عن ذلك الشاعر بقوله:

لك المربع فينا والصفايا وحكمك والنشطة والفضول

والقبائل كانت تنظر إلى قريش نظرة خاصة لما لها من سداثة البيت الحرام، وكانت تهابها وتحسب لموقفها حساباً، وقد أخذ لهم هاشم جبلاً من ملوك الشام والروم وغسان، وأخذ لهم عبد شمس من النجاشي الأكبر، فاختلفوا بذلك السبب إلى أرض الحبشة، وأخذ لهم نوفل جبلاً من الأكاسرة، فاختلفوا بذلك السبب إلى العراق، وأخذ لهم المطلب جبلاً من ملوك حمير، فاختلفوا بذلك السبب إلى اليمن^(٢).
غير أن قريشا قد تخلت عن هذه المكانة والسيطرة على القبائل في صلح الحديبية، وأطلقت العنان لها في اختيار الحلف مع من شاءت.

وكان هؤلاء الشيوخ يطوفون بين الملوك ودولتي فارس والروم للاستجداء والعطاء، كما يطلبون النجدة في الحروب، قال امرؤ القيس وهو يعالج الثأر لأبيه، والذهاب لقيصر في استرداد ملكه:

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقاً بقيصراً

ومثل الملوك والشيوخ يذهب الشعراء، قال الأعشى يصور لنا هذا الطواف:

وطوفت للمل آفاقها عمان وحص فأوري سلم

أتيست الناشي في داره وأرض النبط وأرض العجم

فنجران فالسرو من حير فأبي مرام له لم أرم

ومن بعد ذاك إلى حضرموت فأوفيت همي وحيناً أهم

٢- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ١، ١٩٤/١، الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف، الكويت، ٢٠٠١م، ج ٣٤.

والمراد بأوري شلم هو إيلياء^(٣).

ومن زعماء العرب عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه الذي يروي لنا ذهابه للملوك كما في حديث الحديبية حين جعل يرمق النبي صلى الله عليه وسلم بعينه قال: فوالله ما تنخَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفصوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له، فرجع إلى أصحابه فقال: "أي قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً صلى الله عليه وسلم"، كما أن جماعة من قوم عروة الثقفي ذهبوا إلى المقوقس، فأكرم متواهم ومنهم ابن أخيه المغيرة^(٤).

وهكذا نجد أن العرب كانوا يقدون على هؤلاء الملوك، ويتنقلون بين مدنهم حسبما تقتضي المصلحة، فيدورون معها حيث دارت، ويميلون حيث مالت بهم، غير أن علينا أن نذكر أمرين مهمين يتعلقان بأمر ملوك العرب الذين كونوا لهم إمارات يبدون فيها ويعيدون:

الأمر الأول:

هو أنه قد عرف الملوك المتوجون في اليمن أولاً، وظهروا في حكم التبابعة والأقيال والعباهلة من آل قحطان، وكان أول من تتوج منهم سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ثم قلدتهم غيرهم كملك البحرين والبيامة والشام كما سيأتي. ثم أخذ هذا النمط إلى الحيرة والشام عند المناذرة والغساسنة، وسرى أيضاً إلى البحرين والبيامة وعمان.

الأمر الثاني:

أن سيطرة هؤلاء الملوك كانت صورية، وتابعة إما للفرس أو الروم، فهم الذين يحكمون أصالة، ويتحكمون في شؤون هؤلاء الذين لا يملكون إلا الطاعة لهم، ولا يخرج هؤلاء الملوك عن التبعية لإحدى الدولتين العظيمتين فارس أو الروم، فلا يعدون أن يكونوا منفذين لأمرهم محققين لرغباتهم حتى يرضوا عنهم، وهي صورة قريبة الشبه من حالنا المعاصر، ولم يدخل أحد من الملوك في المجوسية نظراً لكونها ديانة قومية خاصة بالفرس، خلافاً للنصرانية.

٣- أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ابن الحائك الشهير بالهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوخ

الحوالي، أشرف على طباعتها حمد الجاسر، ١/ ١١٢.

٤- أبو عبدالله الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة التاريخ العربي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١،

١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ٣٨/ ٣٩١.

كأن هذا يعني أن من تنصر من العرب إنما فعل ذلك متأثراً بالروم، والحقيقة أن النصرانية معروفة في العرب قبل معرفتها في الرومان كما يمكن توظيف هذه النقطة في مسألة الولاء الديني، وأن نصرانية قبائل العراق لم تمنعهم من التحالف مع المجوس ضد الروم النصارى وأن هذا قد يكون مرجعه إلى الاختلاف المذهبي بين النصارى، أو غلبة الطابع القبلي أو الانتماء الديني عند هذه الإمارات العربية التي قامت في العراق محالفة لفارس.

فكان ملوك البحرين من بني تميم، من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوي، وكانت ملوك فارس تستعملها عليها كما يستعملون بني نصر على الحيرة وبني المستكبر على عمان، وقد سيطرت فارس على شرق الحجاز وجنوبه، وكانت البرد منظومة إلى كسرى من أقصى بلاد اليمن إلى بابه، أيام وهرز، كذلك كانت برد كسرى إلى الحيرة: إلى النعمان وآبائه، وكذلك كانت برده إلى البحرين والي المنذر بن ساوي، وكذلك كانت برده إلى عمان، إلى الجلندي بن المستكبر، فكانت بادية العرب وحاضرتها مغمورتين ببرده، إلا ما كان من ناحية الشام، فإن تلك الناحية من مملكة خثعم و غسان إلى الروم، وقد اتخذ الروم الشام حماية لهم من عبث القبائل كما اتخذ الفرس الحيرة كذلك (٥).

وهكذا نستطيع أن نتوصل من خلال هذه المقدمة إلى حال الذين يحيطون بدولة الإسلام، ويشكلون الحدود المتآخمة لها، وسنكشف المزيد من أحوالهم التي تعين على فهم الخطاب لهم.

المبحث الأول:

سنتناول في المبحث الأول ثلاثة أمور بالتفصيل وهي:

المطلب الأول: واقع البلاد التي خاطب النبي صلى الله عليه وسلم ملوكها.

المطلب الثاني: الزمان الذي خرجت فيه الرسائل تخاطب الملوك.

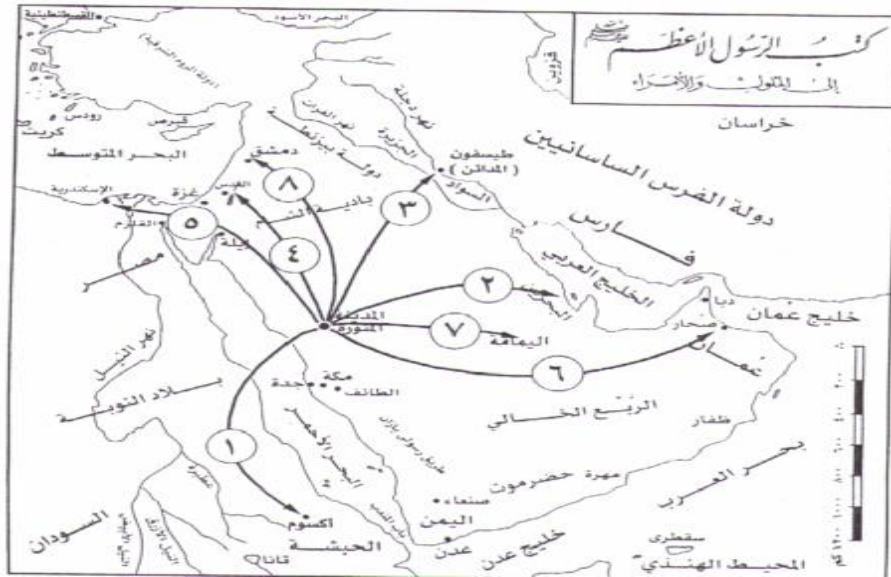
المطلب الثالث: تراجم الرسل السفراء الذين تم اختيارهم لهذه المهمة.

المطلب الأول: البلاد التي كان بها الملوك والأمراء:

إن دراسة أحوال البلاد التي بعث إليها النبي صلى الله عليه وسلم رسله تعد البوابة الرئيسة للدخول إلى الاستفادة من رسائله عليه الصلاة والسلام في الدعوة، ومفاتيح هذه البوابة تسليط الضوء

٥- أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة، ضبطه وخرّج آياته خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦/١، ١٩٩/١، وجواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الثقافة والإعلام، العراق، ط ٢، ١٩٩٣م، ١/٥٩١٦.

على الحياة السياسية والفكرية التي سادت كل بلد، وأسنان هذه المفاتيح مراعاة الزمن الذي اختاره عليه الصلاة والسلام لابتعاث أصحابه في هذه المهمة، وكذلك الصفات التي ينبغي أن تكون حلية للرسول. إذا تسليط الضوء على كل ذلك من الأهمية البالغة بما يتناسب والمقام، ويكشف لنا عن ملابسنا نحن بحاجة إلى الاستفادة منها، والإعراض عن تفاصيل المؤرخين التي لا صلة لها بالموضوع ولا قرابة، إذ أن الحديث حولها ذو شجون، والاسترسال فيها يخرج بنا عن المقصود، فلنكتف بما يعيننا في بحثنا، وبالله التوفيق.



وقد قدمنا أن البلاد التي تحيط بالدولة الإسلامية الناشئة بالمدينة على ثلاث مراتب، وهي: القبائل العربية التي تسلم أمرها للشيوخ، والممالك التي يقف المملوك على كراسي حكمها، والدولتان العظيمتان آنذاك وهما فارس والروم (٦). ولنبدأ في ذكر دولة فارس وما كان تحت ولايتها من البلاد التي تحيط بالمدينة من شرقها وجنوبها، ثم نتقل إلى ملك الروم ونفوذه الذي يحكم السيطرة على ما يقع شمال الدولة الإسلامية وغربها.

دولة فارس:

لقد كانت ملوك الفرس من أعظم ملوك الأرض في قديم الزمان، ودولتهم وترتيبهم لا يائسهم فيه غيرهم، وهم أربع طبقات تأتي طبقة الأكاسرة الرابعة لأن كل واحد منهم كان يقال له كسرى، ويقال لهم

٦- محمد الحسن بن أحمد الخديم، بغية الأبرار من شرح قرّة الأبصار، مطبعة الكرامة، الرباط، ٢٠٠٠م، ص ٨٤-٨٧.

أيضاً الساسانية، نسبة إلى جدهم ساسان ، وأشهر ملوكهم أنوشروان الذي حقق أمرين: أحدهما: إعادة آل المنذر إلى الحيرة وطرد الحارث عنها، والأمر الثاني: قتل المردكية الذين أباحوا نساء الناس وأمواهم، وتثبيت ملة المجوسية القديمة، وعمر البلاد، وردّ إلى ملكه كثيراً من الأطراف التي غلبت عليها الأمم في فترات ضعف فارس، وأرسل جيشاً إلى اليمن، وقدم عليهم وهرز فقتلوا الحبشة المستولين عليها، وأعاد ملك سيف ابن ذي يزن عليه، بعد قتل ملك الحبشة مسروق بن أبرهة الأشرم الذي جاء بالفيل ليهدم الكعبة.

ثم ملك بعده ابنه هرمز بن أنوشروان، وكان عادلاً يأخذ للأدنى من الشريف، وبالغ في ذلك حتى أبغضه خواصه، وخرج عليه أمير جنده وخلعه، فلما خشي ابنه برويز من استيلاء خصومه وثب على أبيه وسمل عينه، وقعد على سرير ملكه، ثم ما لبث ابنه أن قتل هذا الملك الأعمى خوفاً من استغلال أعدائه بقاءه حياً، وقد لحق برويز بملك الروم مستنجداً به على خصومه، فأكرم ملك الروم مثواه فزوَّجه بنته وأنجده بثمانين ألف فارس، وسار بهم حتى ثبت ملكه، وفرَّق في عسكر الروم أموالاً جلييلة، ولما هلك ملك الروم الذي نصره ساءت العلاقة، ففجرت بين برويز وبين الروم عدة حروب، وكسر الروم ووصلت خيله القسطنطينية.

ثم إن برويز عتا وتجبر واحتقر الأكابر وظلم الرعية، وحبس الكثير حتى اجتمع في سجونته ستة وثلاثون ألف رجل، ضاقت الحبوس عنهم، ورام قتلهم حين عظم تنهم، فأخرجهم رئيس الحبس ليخلعوه ولم يشعر كسرى برويز إلا بالغبلة والصياح، فهجموا على كسرى برويز في داره، فأمسكوا به وحبس، فجاء أمير السجن بشيروه وأجلسه على سرير الملك، وأطاعه الخاصة والعامة، وجرى بين شيرويه وبين أبيه مراسلات وتقريع، وآخر الأمر قال شيرويه لأبيه: لا تعجب إن أنا قتلتك، فإنني أقتدي بك في سملك عيني أبيك هرمز وقتله، ولو لم تفعل ذلك مع أبيك، ما أقدم عليك ولدك بمثل ذلك، فأرسل في قتله فقتل. وبرويز هو الذي بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم رسالة فلم يحسن الجواب، فحأقت به دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كما سيأتي.

ثم ملك شيرويه، وكان رديء المزاج، كثير الأمراض، صغير الخلق، وقتل إخوته - وعددهم سبعة عشر - حسداً من صفاتهم، ثم ندم على قتل إخوته، وابتلي بالأسقام فلم يلتذ بشيء من اللذات، وجزع بعد قتلهم جزعاً شديداً، واحترم نوم الليل، وصار يبكي ليلاً ونهاراً، ويرمي التاج عن رأسه، ثم هلك على تلك الحال. ثم ولوا الملك بوران بنت كسرى برويز، فأحسنّت السيرة، وردت خشبة الصليب

على ملك الروم، فعظم موقعها عنده، وأطاعها في كل ما كلفته، وملكته سنة وأربعة أشهر، ثم هلكت (٧).
ملوك الحيرة:

وهم المناذرة بنو عدي بن نصر بن ربيعة من ولد عمرو بن سبأ، وكانوا عمالاً للأكاسرة على عرب العراق، وقد انتزع قباذ ملكهم ووضعوه في الحارث بن عمرو الكندي حين وافقه على المزدكية، ثم لما تمكن كسرى أنوشروان أعاد المنذر بن ماء السماء إلى ملك الحيرة، وجرت بين النعمان وكسرى أبرويز مخاصمات كبيرة، ثم جاء الإسلام، فملك أبرويز بن هرمز على العرب بالحيرة إياس بن قبيصة الطائي، ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس (٨).

البحرين:

وهي تقع على ناحية بين البصرة وعمان على ساحل البحر، وغربها متصل باليامة، وقصبتها هجر، ومن مدنها القطيف والأحساء وبيشة والخط التي تُنسب إليها الرماح الخطية، وقد عرفت هجر بكثرة تمرها، وبها يضرب المثل: كمبضع تمر إلى هجر، وعرفت بقلالها أيضاً فقد أخرج مسلم من حديث أنس رضي الله عنه في حديث المعراج: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقتها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة".

كما اشتهرت بنخيلها، فعن أبي موسى عند البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم: "رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهي لي إلى أنها اليامة أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب" ووقع عند البيهقي من حديث صهيب رفعه "أريت دار هجرتكم سبخة بين ظهري حرثين، فيما أن تكون هجر أو يثرب".

وكانت البحرين لبني تميم وعبد القيس جيرانها، أما المشرف عليها فرؤساء تميم من بني عبد الله ابن زيد منهم المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله بن دارم، وهو ملك البحرين، وكانوا يتلقبون بألقاب الملك، وتشتهر بسوق هجر الذي يعقد في شهر ربيع الآخر، وكان الذي يتولى تعشير التجار بها "المنذر بن ساوى".
وأسبذ قرية بالبحرين، وصاحبها المنذر بن ساوي، وقد اختلف في الأسبذيين من تميم لم سموا بذلك؟ قيل هم ولد عبد الله بن زيد بن عبد الله بن دارم بن تميم، وقيل لأنهم كانوا يعبدون فرسا.

٧- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ١/٢٢-٣١.

٨- المصدر السابق، ١/٤٥، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار المعرفة، ط ١، ٢٠٠٥م، ١/٢٠٩.

وغلب على أهل البحرين عبد القيس، وهم أصحاب المشقر والصفاء حصنين هنالك، ومن حصونهم أيضاً جُوائى، وقد وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم مرتين؛ إحداهما قبل الفتح، ولهذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: "بيننا وبينك كفار مضر" إما في سنة خمس أو قبلها، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلاً، وفيها سألوا عن الإيمان وعن الأشربة، وكانت أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة، ففي حديث ابن عباس عند البخاري أنه قال: إن أول جمعة جُمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجُوائى من البحرين. ثانيتهما - أي مرة الوفود الثاني - كانت في سنة الوفود، وكان عددهم حينئذ أربعين رجلاً^(٩).

اليامنة:

بلد كبير يحيط به حصون ومدن، وقصبتها حجر، تتصل بأرض عمان من جهة الغرب ومع الشمال، وهي مدينة عامرة بها مزارع ونخيل وتمر كثير، وتمرها أكثر من سائر التمر ببلاد الحجاز، وبها كانت اليامنة الملكة ساكنة في وقتها، وليس بالحجاز مدينة بعد مكة والمدينة أكبر من اليامنة، وسكنها طسم وجديس، وتنسب إليها زرقاء اليامنة أخت رياح بن مرة بن طسم، ثم استولى على اليامنة بنو حنيفة وغلبوا عليها، وكان ملكها منهم هوذة بن علي بن ثمامة الحنفي، وقد وجدت النصرانية لها سبيلاً بين قراها وقبائلها.

ويعد هوذة بن علي من ملوك العرب كما يتضح من قول الشاعر الذي مدح الملك الحميري حين جلس في قصر غمدان بقوله:

فأنت أولى بتاج الملك تلبسه من هوذة لابن علي وابن ذي يزن

وقال فيه الأعشى:

من يرى هوذة يسجد غير متتب إذا تعمم فوق التاج أو وضعاً

وكان له موقف في الوقوف مع العير الذي أرسله وهرز من اليمن إلى كسرى ونهبها بنو تميم، وسار مع العير إلى كسرى فأعجب به ودعا بعقد من در فعقد على رأسه، فمن ثم سمي هوذة ذا التاج، وكان يكره بني تميم لقتلهم أباه. وكان من الملوك العقلاء، وله مكانة عند العرب لكرمه ورجاحة عقله غير أنه لم يكن واسعاً الملك كملوك الحيرة والغساسنة، بل كان محدوداً بحدود قبيلته، سيد قومه إذ ذاك، وكان

٩- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى،

١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ١١/١٨٤-٢٢٨.

ملكا على دين النصرانية، وإليه أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سليطا بن عمرو^(١٠).

عمان:

بلد على الساحل بين البحرين ومهرة، تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع، منها تُوام قصبتهما مما يلي الساحل، وصحار قصبتهما مما يلي الجبل، ومنها قلها تُ مدينة على ساحل البحر إليها ترفأ أكثر سُفن الهند وهي لصاحب هرمز، ورد ذكر عمان في عرض الحوض كما عند مسلم بأنه من المدينة إلى عمان^(١١).

وكان آل الجلندي ملوكا على عمان، وهم من الأزد، و الجلندي لقب لكل من ملك منهم عمان، كما يلقب من ملك فارس كسرى، ومن ملك الروم قيصر، ومن ملك الحبشة النجاشي، وآخر من ملك منهم جيفر و عبد ابنا الجلندي، و قد كان "الجلندي بن المستكبر" يعشر من يقصد سوق "صحار"، ومن يقصد ميناء "دبا" من التجار القادمين من مختلف أنحاء الجزيرة أو من الهند والصين وإفريقية، وكانت ملوك فارس تستعمل بني المستكبر على عمان، وكانوا يصنعون فيها ما يريدون، وجيفر و عبد ابنا الجلندي قد بعث إليهما النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب يدعوهم فيه إلى الإسلام^(١٢).

اليمن:

إن ملوك اليمن في هذا الزمان هم المتوجون من حمير، وأعظهم التبابعة لمن ملك الشحر، ودونهم الأقبال والعباهلة، وكان ذو جدن من آخر ملوكهم، وفي عهده استولت الحبشة على اليمن، ومنهم أبرهة الذي غزا الكعبة، وطلب سيف بن ذي يزن ملك آبائه المسلوب، فخرج إلى قيصر يستجيش على الحبشة، فأجابه قيصر بأنهم على دين النصرانية، فسار إلى كسرى أنوشروان، فوجه بأهل السجون، ووجه

١٠- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الحنفي المقدسي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، ١٩٨٠م، ١/٣٢، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الحموي الحسني السقيلي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤م، ١/٤٩، الإمام أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ١/١٦١، المنتظم، ١/٣٧١.

١١- رواه أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري، في صحيحه مرفوعا، دار السلام، الرياض، ١٤١٤هـ (من مقامي هذا إلى عمان) وعند البخاري (ما بين أيلة وصنعاء اليمن).

١٢- شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر، دار صادر، بيروت، ٣/٢٤٩، وأبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، ١/٦٥، الهمداني، صفة جزيرة العرب، ١/١٠٤.

معهم رئيسا يقال له وهرز، فحارب الحبشة وقتل أبرهة الحبشي وغلب على البلد، ثم ملك سيف بن ذي يزن، وقد قيل:

أتى هرقل وقد شالت نعماته فلم يجد عنده الأمر الذي قالوا
ثم انتحى نحو كسرى بعد سابعة من السنين، لقد أبعدت إيغالا
حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم اذهب إليك، لقد أسرعت قلقالا

وكان سيف بن ذي يزن المذكور قد اصطفى جماعة من الحبشان، وجعلهم من خاصته، فاغتلوه وقتلوه، فأرسل كسرى عاملا على اليمن، واستمرت عمال كسرى على اليمن إلى أن كان آخرهم باذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولم يكن ملوك حمير قد حرموا من إرثهم من الملك البتة، بل كانت لهم الكلمة أيضاً، فمنهم الحارث بن عبد كلال، وذو الكلاع الحميري، وذو زرعة بن سيف بن ذي يزن وهم الذين بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام كما سيأتي (١٣).

الشام:

كانت الشام دار ملك بني إسرائيل، حتى انقرضوا، فغلبت الروم على ملكها، فدانت لهم قضاة أول من قدم الشام من العرب، ودخلوا في دين النصرانية، فملكهم ملك الروم على من ببلاد الشام من العرب، ولما تفرقت الأزدي صارت غسان إلى الشام، فقدموا أرض البلقاء، وحالفوا الروم فملك عليهم جفنة بن عمرو بن عامر، واستقام الذي بينهم وبين الروم، وصارت أمورهم واحدة.

وكانت الرئاسة ببيت المقدس في ذلك الوقت لملك الروم الذي يسمونه بقيصر، فصار ملك الشام في حمص، وكانت الحرب بينهم وبين الفرس سجالا، وكان من أمر هذه الحروب أن غزا كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان الروم وغلبها؛ فأنزل الله في قصتهم ﴿الْعُرُوفُ ۝ غَلَبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ۝﴾ (١٤) وأدنى الأرض هي بصرى وفلسطين، وأذرعان من أرض الشام، قاله الطبري، وكانت قريش تحب ظهور فارس لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب.

١٣- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، ٤٢/١، أبو الفرج ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١/١٦١، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح البعقوبي، تاريخ البعقوبي، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ٧٨/١.

١٤- سورة الروم، الآيات: ١-٣.

ومضت من السنين سبع فقام هرقل بإخراجهم من أرضه، وانتزع له منهم صليبه الأعظم، وكانوا قد استلبوه إياه، فخرج من حمص يمشي على قدميه شكراً لله حين رد عليه ما رد؛ تبسط له البسط، وتلقى عليها الرياحين، حتى انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته، وكان ذلك في السنة التي اعتمر فيها النبي صلى الله عليه وسلم عمرة الحديبية، وبلغ المسلمين نصره الروم على فارس وفرحوا، حيث كان المسلمون يجيئون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب قال الله تعالى: ﴿الْعَرَبُ ۙ غَلَبَتِ الرُّومَ ۗ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ ۗ فِي يَضْعَ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَقْرَأُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥﴾.

ملوك الغساسنة:

كانت ديار ملوك غسان باليرموك والجلولان وغيرهما من غوطة دمشق وأعمالها، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام، وغلبت غسان على من بالشام من العرب، وكانوا عمالاً للقبصرة على عرب الشام كما كانت المناذرة عمالاً لفارس، وأصل غسان من اليمن، من بني الأزد، وقد تفرقوا من اليمن بسيل العرم، ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان، فملكها الروم على العرب، فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر وقيل جفنة بن عمرو، ومن آخر ملوكهم الحارث بن أبي شمر بن الأيهم مملكا بالأردن، وهو الذي بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب يدعو للإسلام، وكان منزل جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث دمشق، وهو الذي أسلم في خلافة عمر رضي الله عنه، ثم عاد إلى الروم وتنصر. وما يدل على تنويج هذين الزعيمين ما ورد في الخرزات التي بمعنى التاج يقول الشاعر لبيد يذكر الحارث بن أبي شمر الغساني:

رعى خرزات الملك عشرين حجة وعشرين حتى فاد والشيب شامل

ويقول حسان بن ثابت في جبلة وهو ممدوحه:

أشهرها فإن ملكك بالشا م إلى الروم فخر كل يمان (١٦).

- ١٥- سورة الروم، الآيات: ١-٥، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١/١٢٩، ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار السلام، الرياض، مكتبة دار فيحاء، دمشق، الطبعة الأولى، ١/٧، ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية للنشر، لبنان، ١٩٩٧م، ٧/١٩٤.
- ١٦- أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب، ١/٢١١، وأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ١/٨٠، وأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف، تحقيق عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٣/١٨.

وكانت أشهر مدن الشام وهي خاضعة للروم:

بصرى: وهي قصبه بلد حوران من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى ومزارع، وأهلها قوم من قيس من بني مرة.

الغوطة: وأهلها غسان ويطون من قيس، وبها قوم من ربيعة.

البلقاء: من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبها عمان فيها قرى كثيرة ومزارع واسعة وبجوذة حنطتها يضرب المثل (١٧).

مصر:

أرض الكنانة وبلد النيل، وقد كانت مملكة للقبط، وخشي القبط من ملوك الشام فملكوا امرأة من بيت الملك، وأتاها بنو إسرائيل حين قتلهم بختنصر فلاحقوا بمصر فأجارهم ملكها قومس، وبعث فيهم بختنصر فمنعهم وزحف إليه وغلب عليه وقتله وخرب مدينته منف.

ثم لما ظهرت الروم وفارس على سائر الملوك قاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم حتى صالح أهل مصر الروم، على أن يدفعوا لهم شيئاً مسمى في كل عام ويكونوا في ذمتهم، ثم ظهرت فارس على الروم، فلما غلبوهم على الشام، رغبوا في مصر وطمعوا فيها، فامتنع أهل مصر وأعانتهم الروم وقاتلت دونهم، وألحت عليهم فارس، فلما خشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارس، على أن يكون ما صالحوا عليه الروم بين الروم وفارس، فتوالت عليها نواب الفرس أيام أنوشروان الذي غلبت جيوشه على الشام وسارت نحو مصر فملكوها، وغلبوا على أهلها نحواً من عشرين سنة.

وأقامت مصر بين الروم وفارس سبع سنين، ثم استجاشت الروم وتظاهرت على فارس، حتى ظهروا عليهم وخرّبوا مصانعهم أجمع وديارهم التي بالشام ومصر، وكان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه نزلت: ﴿الْمَرْ ۙ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ...﴾ الآية، فصارت الشام كلها صلحاً ومصر خالصة للروم.

ولما غلب الروم على مصر والشام أبقوا القبط في ملكها وتنصر أهلها، وأرسل هرقل المقوقس أميراً على مصر، وجعل إليه حربها وجباية خراجها، فنزل الإسكندرية، فلم تزل في ملك الروم حتى

١٧ - شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر ودار صادر، بيروت، ١/٣٨، وأبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية البغدادي، المنمق في أخبار قریش، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م، ١/١٥٤.

فتحتها الله تعالى على المسلمين، وصاحب القبط بمصر والإسكندرية المقوقس واسمه جريج بن مينا، وهو الذي أرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة بالكتاب يدعوه إلى الإسلام^(١٨).
الحبشة:

وهي مملكة عظيمة، وبلادهم تقابل الحجاز، وبينهما البحر، وهي بلاد طويلة عريضة كانت تقع جنوب النوبة وشرقيها، وهم الذين ملكوا اليمن قبل الإسلام، ومدينة مملكة الحبشة تدعى كعبر، ولم تزل العرب تأتي إليها للتجارات، ولهم مدن عظام، وساحلهم دهلك، وملكهم الأعظم يسمى النجاشي، وكان على دين النصرانية اليعقوبية، وآخر مملكة الحبشة الزنج، وأما السودان الذين سلكوا نحو المغرب فإنهم قطعوا البلاد، فصارت لهم عدة ممالك.

وكانوا على النصرانية وقد استنصر نصارى نجران بالنجاشي حين غزاهم ذو نواس الحميري وكتب إلى قيصر يبعث له السفن فأجابه وخرج بهم إلى أرياط، وفي جنوده أبرهة الأشرم، فركب البحر، ووطئوا أرض اليمن فأتخنوا فيها الجراح، وأقام أبرهة ملكا على صنعاء ومخالفها، ثم ساءت العلاقة بينه وبين النجاشي.

وعجائب بلادهم كثيرة، ولهم عادات عجيبة، وقد حكى الذهبي من حديث عائشة رضي الله عنها في سير أعلام النبلاء خبر ملكهم والد النجاشي أصحمة وكيف آل إليه الأمر، وأما النجاشي أصحمة فهو ملك عادل قد انتهى خبره إلى النبي صلى الله عليه وسلم فارتضى أن يهاجر صحابته إليه، وخبره مع عمرو بن العاص حين جاءه مفاوضا ومندوبا من قريش يدل على عدله، وهو من أعلم الناس بالإنجيل، وهو الذي بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه للإسلام، وكان يخرج خرجا له رقل فلما أسلم قال "والله لو سألتني درهما واحدا ما أعطيته" فلما بلغ ذلك هرقل، قيل له: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجا، ويدين دينا محدثا؟ فقال: وما الذي أصنع؟ رجل رغب في دين، واختاره لنفسه، والله لولا الضنُّ بملكي، لصنعت مثل الذي صنع^(١٩).

١٨- جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين، مكتبة المعرفة، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ٢٤/١، وعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، طبعة الأزهر، القاهرة، ١٩١٧م، ١٧/١، وعبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ٧٦/٢.

١٩- أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٧٥/١، وزكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، ٦/١، وشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ٤٢٩/١، ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١٥٦/١، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، ٦١/١.

هذه لمحة عن البلاد التي تحيط بالدولة في المدينة، وهي تعكس مدى تسلط هؤلاء الملوك على الناس، كما تكشف عن قوة الفرس والروم، والصراع الدائر بينهم، فكانت هذه الأمور قد أخذ بها النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي يعرف أحوالهم، فقد أمر أصحابه في بداية الدعوة بالهجرة إلى الحبشة حين اشتد بهم عذاب المشركين، وبين السر في اختيارها بقوله كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها: "إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده" رواه ابن اسحق بإسناد جيد، ومن طريقه البيهقي في الدلائل (٢٠).

وهذا يدل على معرفته بأحوال الآخرين، كما يدل على عدل ملك الحبشة الذي سارت به الركبان، كما أن مجالس أهل مكة كانت تناقش أحوال فارس والروم كما في خبر النضر بن الحارث الذي أراد أن يضاهاها قصص القرآن الكريم.
المطلب الثاني: زمن الرسائل:

يعد صلح الحديبية الذي أمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنوده في السنة السادسة فتحا، وسماه القرآن كذلك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ (٢١)، وتأتي مخاطبة الملوك ودعوتهم للإسلام من صور هذا الفتح العظيم، حيث استدار عليه الصلاة والسلام من مناوذة قريش إلى مخاطبة العالم بالرسائل التي بعث بها، ولم يكن عليه الصلاة والسلام رسولا لقريش أو العرب خاصة بل هو نذير للناس كافة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢٢).

لقد استبان إذن سبيل المشركين من أهل مكة، وانتهى أمرهم إلى صلح الحديبية الذي فتح للمسلمين بابا جديداً في الدعوة، وقد رأت قريش الوهن يضعفها وتسلمها الشيخوخة إلى الموت، فنظرت في نفسها وتخلت عن كبريائها في الإمساك بزمام القبائل، وتركت الأمر لها أن تدخل في عهد المسلمين، وقد اعترفت بهذا من حيث شعرت أو لم تشعر بقيام دولة الإسلام.
بداية الأمر:

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقال: "إن الله بعثني رحمة للناس كافة فأدوا عني رحمكم الله، ولا تختلفوا كما اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام، فإنه دعاكم مثل ما أدعوكم

٢٠- أبو عبد الله محمود بن محمد الحداد، تخریج أحاديث الإحياء، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ٨٣/٥.

٢١- سورة الفتح، الآية: ١.

٢٢- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

إليه، فأما من بعد مكانه فكرهه، فشكا عيسى ابن مريم ذلك إلى الله عز وجل فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بكلام القوم الذين وجه إليهم، فقال لهم عيسى: هذا أمر قد عزم الله لكم عليه فافعلوا".
 فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن يا رسول الله نؤدي إليك فابعثنا حيث شئت فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسله الذين تأتي إلى الحديث عنهم، وهذا حديث رواه الطبراني من حديث المسور بن مخرمة، وفيه محمد بن إسماعيل بن عياش، وهو ضعيف كما ذكر ذلك الهيثمي في مجمع الزوائد.

قلت: وقد تابعه الوليد بن مسلم عند ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني مصرحاً بالسماع (٢٣).

اتخاذ الخاتم:

ولم يكن العرب يعرفون الخاتم في ختم الكتب والرسائل التي يبعثونها، فقد ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يكتب إلى رهط أو أناس من الأعاجم، ف قيل له إنهم لا يقبلون كتاباً إلا عليه خاتم، فاتخذ النبي صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة نقشه "محمد رسول الله". وكان اتخاذ الخاتم في آخر السنة السادسة بعد منصرفه من الحديبية، جزم بذلك جماعة، وجزم أبو الفتح اليعمري أن اتخاذ الخاتم كان في السنة السابعة (٢٤).

- عدد كتاب الرسائل والكتب والمواثيق والعهود: كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعين برجال يكتبون لأنه أمي كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٥). قال ابن عباس: "الأميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لأنهم لم يكونوا أهل كتاب" وقيل: الأميون الذين لا يكتبون وكذلك كانت

٢٣- رضي الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بتحريه: العراقي وابن حجر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، ٤١٨/٢، وعلي المتقي حسام الدين الهندي، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، ٦٣٤/١٠، الطبراني، الأحاديث الطوال، حققه وجمع أحاديثه: حمدي عبد المجيد السلفي، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٤٠/١، ٤٦٠، ابن أبي عاصم، أبو بكر أحمد بن عمرو النبيل أبو عاصم الضحاك الشيباني، الأحاد والمثاني، طبعة دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ، ١٧٦/٢، مجلة التاريخ العربي، الرباط، عدد ٢٣، ص ٥٢.

٢٤- الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٦ / ٤٥١.

٢٥- سورة الجمعة، الآية: ٢.

قريش (٢٦) وقد ذكر بعض المؤرخين أن عدد كتّابه صلى الله عليه وسلم أربعون صحابياً، ومن بين كتاب الوحي تخصص أربعة وعشرون كاتباً في كتابة الرسائل والمواثيق والعهود النبوية (٢٧).

- المواد المستعملة في الكتب: نظراً لأهمية الكتب النبوية وضرورة وصولها إلى الملوك سالمة تقرأ بسهولة ويسر، خفيفة في الوزن، سهلة الحمل، يمكن إخفاؤها عن الأنظار، فقد كانت تكتب على الجلود، وكانت مكة بخاصة والحجاز بعامة مشهورة بتصنيع الجلود النفيسة، واستعمل الحبر الأسود من نبات العليق (٢٨). أو من مادة الكربون "الناجمة من الدخان المتراكم في المطابخ التي تعمل بالخشب وتخلط في الماء بمادة لزجة من أجل جمعها وزيادة كثافتها وتماسكها (٢٩).

- أما الأقلام المستعملة في كتابة رسائل النبي صلى الله عليه وسلم فقد كانت أقلام القصب المسننة برؤوس دقيقة ناعمة، وسميت بأسماء مختلفة منها: الأرقم والقلم والمرقم والمزير والمدبر والملقاط واليراع (٣٠).

- وكانت رسائل رسول الله صلى الله عليه وسلم تكتب بالخط العربي خالية من الحركات والإعجام (النقاط) لعدم حاجتهم إليها، لأنهم فصحاء انطبعوا على ملكة الإعراب بالسليقة.

- أسطر الرسائل النبوية: فقد تراوحت بين سبعة أسطر في رسالة هرقل وخمسة عشر سطراً في رسالة كسرى، وأربع وثلاثين كلمة في رسالة صاحب اليمامة، وسبع كلمات ومائة كلمة في رسالة النجاشي، وهي أطول الرسائل النبوية إلى ملوك العصر في حينه (٣١).

كتاب سليمان:

والكتاب يبدأ بالبسملة في أوله وينتهي بالختم يكون كريبها، قالت بلقيس ملكة اليمن في كتاب

سليمان عليه السلام، قال الله تبارك تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أَخْتَلِكُ أَيُّكُمْ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ

٢٦- محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩/٩١-٩٢.

٢٧- مجلة الوثيقة، العدد الأول، الصادر في رمضان من سنة ١٤٠٢ هـ/ يوليو ١٩٨٢ م.

٢٨- العليق: نبت يتعلق بالشجر ويتلوى عليه، ويستخرج منه مادة تكون الحبر الأسود.

٢٩- محمود شيت خطاب، "السفارات والرسائل النبوية: كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم ومواردهم الكتابية"، المورد مجلة تراثية فصلية، تصدرها وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، المجلد السادس عشر، ربيع ١٩٨٧ م العدد الأول، ص ٤٣.

٣٠- حميد بن سبأ بن يشجب بن يعرب قحطان، أول من كتب الخط العربي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٤ م، ص ٤٣٢.

٣١- مجلة المورد، ص ٤٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٢﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتَوْنِي مَسْلُومِينَ ﴿٣٢﴾. قال القرطبي في تفسيره (اتفقوا على كتب "بسم الله الرحمن الرحيم" في أول الكتب والرسائل وعلى ختمها، لأنه أبعد من الريبة، وعلى هذا جرى الرسم، وبه جاء الأثر عن عمر بن الخطاب أنه قال: أيما كتاب لم يكن مختوما فهو أغلف، وفي الحديث: "كرم الكتاب ختمه". ونقل البغوي في تفسيره عن عطاء والضحاك: لماذا سمّته كريها؟ فقالا: لأنه كان مختوما. وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كرامة الكتاب ختمه" (٣٣). وتعد رسالة سليمان عليه السلام إلى بلقيس التي ذكرها القرآن من أهم النصوص التي تعين على دراسة رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك.

والذي يعنينا في مقامنا هو تحديد الوقت الذي انطلقت فيه رسل الإسلام حاملة الكتب إلى ملوك الأرض لا سيما من يلوهم من الكفار، ويتردد بعث الرسل بين فترتين؛ أولاهما: عقب صلح الحديبية وأخراهما: موته عليه الصلاة والسلام، نقل الطبري ذلك عن ابن إسحاق وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرق رجلا من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم، دعاة إلى الله عز وجل فيما بين الحديبية ووفاته (٣٤). هذا على سبيل الإجمال، أما على سبيل التفصيل فقد وقع الخلاف بين العلماء في تحديد بعض البعثات، واشتد الخلاف في قليل منها، ويمكن بيان هذا التفصيل على النحو التالي:

السنة السادسة:

والمراد منها آخرها في شهر ذي الحجة أي بعد صلح الحديبية، وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ستة نفر: ثلاثة مصطحبين إلى جهة الشمال إلى قيصر، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني، وإلى المقوقس، وبعث ثلاثة فأنفذ أحدهم إلى هودة بن علي الحنفي، والآخر إلى كسرى، والثالث إلى النجاشي أصحمة (٣٥).

٣٢- سورة النمل، الآية: ٢٩-٣١.

٣٣- محمد بن أحمد القرطبي، تفسير القرطبي، ١٣/١٩٣، ومحمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، دار طيبة، الرياض، ٦/١٥٩، وحديث ابن عباس رواه الطبراني في الأوسط من رواية محمد بن مروان، وهو السدي الصغير، وأخرجه القضاعي في مسند البيهقي، ومحمد بن مروان متروك. انظر: مجمع الزوائد، ٨/٩٩.

٣٤- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ٢/٢٦.

٣٥- أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣/٣٤٣، وعاد الدين الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، هجر للطباعة والنشر، المهندسين، الجزيرة، مصر، الطبعة الأولى، ٤/٢٠٦، أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/٢٦، أبو الفرج ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١/٣٦٤.

السنة السابعة:

وبعضهم يرى المحرم منها، كما ذهب إلى ذلك ابن القيم في زاد المعاد وغيره، والخلاف بين هذا والأول يسير إن شاء الله كما هو واضح، وربما عاد السبب إلى اختلافهم المتردد بين انطلاقة الرسول الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم ووصوله إلى البلد المعني، وهي مدة الهدنة التي تبدأ من ذي القعدة سنة ست، ورجع إلى المدينة في ذي الحجة، ووجه الرسل في آخرها أو في المحرم من السابعة وكان اتخاذ الخاتم قبل إرساله الرسل إلى الملوك. وقد جزم ابن سعد بأن بعث عبد الله بن حذافة إلى كسرى كان في سنة سبع في زمن الهدنة، وهو عند الواقدي من حديث الشفاء بنت عبد الله بلفظ "منصرفه من الحديبية"، وقد ثبت عند البخاري أن معاوية ذكر له رقل أن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم هدنة.

ومن هنا يمكن أن نفسر تردد بعض العلماء في هذا التحديد كما حصل لابن عبد البر في الكتاب إلى هودة بن علي الحنفي وإلى ثمامة بن أثال الحنفي، وهما رئيسا اليمامة؛ قال: وذلك في سنة ست أو سبع (٣٦).

السنة الثامنة:

وفيهما كانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملك البحرين المنذر بن ساوى العبدى منصرفه من الجعرانة وكان قبل فتح مكة. وفيها أيضاً إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان بعث قال ابن سعد وكان ذلك في ذي القعدة سنة ثمان، والملك منهما جيفر (٣٧).

السنة التاسعة:

وفيهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك إلى قيصر وغيره. وقد روى مسلم في صحيحه من حديث قتادة عن أنس قال: كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار؛ يدعوهم إلى الله تعالى وليس بالنجاشي الذي صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال أبو محمد بن حزم: إن هذا النجاشي الذي بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن

٣٦- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، شمس الدين ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار ابن رجب، الطبعة الأولى، ١١٦/١، الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، خرّج أحاديثه عادل مرشد، دار الجليل، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١/١٩٥.

٣٧- علي بن أبي الكرم محمد الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٣٢٤/١، أبو الفرج ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ٨/٢، أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٤٠/٢.

أمية الضمري لم يسلم، واستظهره ابن القيم في زاد المعاد^(٣٨). وسيأتي ما يوضح هذا اللبس عند ذكر نصوص الرسائل وموقف الملوك منها إن شاء الله.

وهكذا نستطيع أن نخرج من أقوال العلماء بما يوضح لنا أهمية الزمن، حيث لم يبدأ عليه الصلاة والسلام دعوته بمخاطبة الملوك، بل اختار من الوقت ما يؤتي الثمرة، وتقدير ذلك يرجع إلى استغلال الظروف المواتية.

المطلب الثالث: تراجم الرسل:

لقد قام صحابة النبي صلى الله عليه وسلم بحمل الدعوة إلى الآفاق، ولم يتوانوا في تحمل مشقة ذلك، وهذه قبورهم الماثورة في البلاد شاهد على تضحياتهم في سبيل تبليغ الدعوة، وربما تعرض لهم الكفار بالأذى ليذهبوا غيظ صدورهم التي اشتعلت ناراً بانتشار الإسلام، فلم يسلم القراء الذين خرجوا في الرجيع أو بئر معونة من القتل، وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الصحابة دعاة للناس، ويأتي السفراء إلى الملوك من هذه البابة، ونأخذ من سيرهم ما يوضح لنا دواعي اختيارهم لهذه المهمة، وهم:

حاطب بن أبي بلتعة:

أبو عبد الله اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي، من مشاهير المهاجرين، شهد بدرًا والمشاهد، وكان تاجرًا في الطعام، وكان من الرماة الموصوفين، كان حسن الجسم، وقد ثبت في الصحيحين قصة كتابته إلى أهل مكة يجبرهم بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فنزلت فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَنْخِذُوا عِدْوِي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(٣٩)، واعتذر حاطب بأنه لم يكن له في مكة عشيرة تدفع عن أهله، فقبل عذره، ومات سنة ثلاثين بالمدينة^(٤٠). وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه في سنة ست من الهجرة إلى المقوقس صاحب مصر والإسكندرية فخرج بالكتاب، فلما دخل عليه، قال له: اعلم أنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى، فأخذته الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك،

٣٨- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ١/١١٦.

٣٩- سورة الممتحنة، الآية: ١.

٤٠- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٤٣، وابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ١/٢٠٣، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/٩٢، ابن الأثير، أسد الغابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ١/٢٢٩، مختار الوكيل، "سفراء النبي وكتابه ورسائله" مجلة الأزهر، الجزء السادس، السنة السادسة والخمسون جمادى الآخرة، ١٤٠٤هـ/مارس ١٩٨٤م، ص ٨٧٤-٨٨٠.

ولا يعتبر غيرك بك. اعلم أن لنا ديناً لن ندعه إلا لما هو خير منه، وهو الإسلام، الكافي به الله ما سواه، إن هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري ما بشاراة موسى ببعيسى، إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوما فهم من أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدركه هذا النبي، ولسنا ننهك عن دين المسيح، بل نأمرك به. انتهى كلامه رضي الله عنه الذي سيأتي لنا معه بعض الوقفات.

عبد الله بن حذافة:

أبو حذافة السهمي، كان من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشة المهجرة الثانية، وكان من أصحاب بدر، وكانت فيه دعابة، وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "سلوني عما شئتم": من أبي؟ فقال: "أبوك حذافة بن قيس"، وفي الصحيح عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره على سرية فأمرهم أن يوقدوا ناراً فيدخلوها فهموا أن يفعلوا، ثم كفوا فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "إنما الطاعة في المعروف" وخرج إلى الشام مجاهداً، فأسر على قيسارية، وحملوه إلى طاغيتهم، فراوده عن دينه فلم يفتتن. وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديدية بكتابه مختوماً إلى كسرى فقال: فأنتهيت إلى بابه، فطلبت الإذن عليه، حتى وصلت إليه فدفعت إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه، فأخذه ومزقه، وهذا يدل على شجاعته رضي الله عنه (٤١).

وإنما خصّ النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بالذهاب إلى كسرى كونه كان يتردد عليه كثيراً ويختلف إلى بلادهم، فقدم عليه وقال: يا معشر الفرس إنكم عشتم بأحلامكم لعدة أيامكم بغير نبي ولا كتاب، ولا تملك من الأرض إلا ما في يديك، وما لا تملك منها أكثر وقد ملك قبلك ملوك أهل الدنيا فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا، وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة، فاختلفوا في سعي الدنيا، واستووا في عدل الآخرة، وقد صغر هذا الأمر عندك أنا أتيناك به، وقد والله جاءك من حيث خفت، وما تصغيرك إياه بالذي يدفعه عنك، ولا تكذيبك به بالذي يخرجك منه، وفي وقعة ذي قار على ذلك دليل (٤٢). وهو يشير إلى وقعة ذي قار، وهي من أيام العرب المشهورة وقد انتصروا فيها على فارس،

٤١- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/٢٦٨، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة،

١١٦/٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/١١، ابن الأثير، أسد الغابة، ١/٣٣١.

٤٢- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، الروض الأنف، تحقيق: عمر عبد السلام السلمي، ذكره

أبو رفاعة وثيمة بن موسى بن الفرات، ٤/١٠٥.

وسببه أن كسرى برويز قتل النعمان بن المنذر بن ماء السماء، وأرسل إلى زعيم بني بكر أن يبعث بسلاحه فأبى، فأرسل جيشاً من الأعاجم فالتقوا بذي قار، وانكسر الفرس وهزموا شر هزيمة، وفي ذكرها دليل على حسن الخطاب والشجاعة (٤٣).

دحية الكلبي:

هو دحية بن خليفة الكلبي، كان من كبار الصحابة، لم يشهد بدرأً وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وكان دحية رجلاً جميلاً، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، قال ابن قتيبة في غريب الحديث: فأما حديث ابن عباس: كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه، فالمعنى بالمعصر العاتق. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشبه دحية الكلبي بجبريل عليه السلام، وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته جاء ذلك من حديث أم سلمة ومن حديث عائشة، وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر في الهدنة، فلقبه بحمص أول سنة سبع أو آخر سنة ست، وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: وبقي إلى خلافة معاوية (٤٤).

وكان دحية على علم بالشام حين يذهب بالعرير إليها للتجارة، ومما قاله لهرقل: "يا قيصر أرسلني إليك من هو خير منك، والذي أرسله هو خير منه ومنك، فاسمع بذل، ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تدلل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تنصف، قال: هات. قال: هل تعلم أكان المسيح يصلي؟ قال نعم، قال: فإني أدعوك إلى من كان المسيح يصلي له، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبي الأمي الذي بشر به موسى، وبشر به عيسى ابن مريم بعده وعندك من ذلك أثارة من علم تكفي من العيان وتشفي من الخبر، فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة، وإلا ذهب عنك الآخرة وشوركت في الدنيا، واعلم أن لك ربا يقصم الجبابرة ويغير النعم" (٤٥).

العلاء بن الحضرمي:

هو العلاء بن عبد الله من بني إياد بن الصدف، حليف بني أمية، ومن سادة المهاجرين، وكان

٤٣- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١/ ١٢٢، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، ١/ ٤٥، خالد سيد علي، رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء والقبائل، مكتبة دار التراث، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧ م.

٤٤- أبو عمر يوسف بن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/ ١٣٧، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ١/ ٣٢٨، ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٣٣٥.

٤٥- أحمد السهيلي، الروض الأنف، ٤/ ٣٨٨.

يقال: إنه مجاب الدعوة، وخاض البحر بكلمات قالها. وهو سفير النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوي العبدي ملك البحرين، ثم ولاه على البحرين إذ فتحها الله عليه، وأقره عليها أبو بكر، ثم ولاه عمر البصرة، فمات قبل أن يصل إليها بماء من مياه بني تميم سنة أربع عشرة (٤٦).

ومما قاله العلاء حين قدم على المنذر: "يا منذر، إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغرَنَّ عن الآخرة، إن هذه المجوسية شر دين، ليس فيها تكرم العرب، يعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل ولا رأي، فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه، ولمن لا يخون أن لا تأمنه، ولمن لا يخلف أن لا تتق به، فإن كان هذا هكذا، فهو هذا النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به، أو ليت زاد في عفوه، أو نقص من عقابه، إن كان ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر" (٤٧).

عمرو بن أمية:

أبو أمية الضمري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد مع المشركين بدرًا وأحدًا، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم، كان شجاعاً مقداماً، أول مشاهده بثر معونة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه في أموره، وكان من أنجاد العرب ورجلها نجدة وجراءة، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية وحده، وبعثه عينا إلى قريش، فحمل خبيب بن عدي من الخشب التي صلب عليها، وأرسله إلى النجاشي وكيلا، فعقد له على أم حبيبة بنت أبي سفيان.

وقد بعثه بكتابه سفيراً إلى النجاشي، فقال له: "يا أصحمة، إن عليّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأننا في الثقة بك منك، لأننا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك الموقع الحز، وإصابة المفصل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف، وأجر ينتظر". وقيل للنجاشي: إنه يزعم أن عيسى عبد، قال: ما تقولون في عيسى؟ فأجاب: كلمة الله وروحه، قال: ما استطاع (عيسى) أن يعدو ذلك. توفي عمرو بن أمية زمن معاوية (٤٨).

٤٦- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣٣٤/١، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢٦٢/١، ابن الأثير،

أسد الغابة، ٢٨٣/٢، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ٢٦٣/٢.

٤٧- أحمد السهيلي، الروض الأنف، ٣٩٠/٤.

٤٨- ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٣٧/٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٧٩/٣، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة

الأصحاب، ٣٦٠/١، العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ٢٨١/٢، العسقلاني، عيون الأثر، ٣٢٩/٢.

سليط بن عمرو:

ابن عبد شمس العامري، كان من المهاجرين الأولين ممن هاجر المهجرتين، وقد هاجرت معه زوجته فاطمة بنت علقمة بن عبد الله بن أبي قيس أم قهطم العامرية إلى الحبشة فولدت له سليط بن سليط. وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هودّة بن علي الحنفي وإلى ثمامة بن أثال الحنفي، وهما رئيسا اليمامة (٤٩).

وإنما خص سليطا باليمامة للسبب الذي خصّ به عبد الله بن حذافة أرض كسرى ألا وهو معرفة بلادهم التي يختلف إليها ويتردد عليها، فلما قدم سليط على هودّة، وكان كسرى قد توجه قال: يا هودّة: إنك سودتك أعظم حائلة، وأرواح في النار، وإنما السيد من منع بالإيمان ثم زوّد التقوى، وإن قوما سعدوا برأيك فلا تشق به، وإني أمرك بخير مأمور به، وأنهاك عن شر، وأنهاك عن عبادة الشيطان، فإن في عبادة الله الجنة، وفي عبادة الشيطان النار، فإن قبلت نلت ما رجوت، وأمنت ما خفت، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء، وهول المطلع (٥٠).

شجاع بن وهب:

أبو وهب الأسدي حليف بني عبد شمس، من السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، وهاجر إلى المدينة، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أوس بن خولي الخزرجي، وشهد بدرًا هو وأخوه عقبة، استشهد باليمامة. بعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الحارث بن أبي شمر وهو بغوطة دمشق، فخرج من المدينة في ذي الحجة سنة ست، فانتهى إلى الحارث وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطف لقيصر، وهو قادم من حمص إلى إيلياء حيث كشف الله عنه جنود فارس؛ شكرًا لله تعالى، وكان الحارث يخاف قيصر، فخرج يوما وجلس فوضع التاج على رأسه، فأذن لشجاع عليه، فدفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه ثم رمى به. قال: فلما قدمت عليه انتهيت إلى حاجبه، فقلت له: إني رسول رسول الله إليه، فقال لي: إنك لا تصل إليه إلى يوم كذا، فأقمت على بابه يومين، أو ثلاثة، وجعل حاجبه وكان روميا اسمه مُرِّي يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه، فكنت أحدثه، ففرق قلبه، حتى يغلبه البكاء، وقال: إني قرأت في الإنجيل صفة هذا النبي، وكنت أرى أنه يخرج بالشام، وأنا

٤٩- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ١/٤٥٩، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،

١٩٥/١، ابن الأثير، أسد الغابة، ١/٤٧٣، محمد بن يوسف الصالحى الشامي، سبل الهدى والرشاد، تحقيق:

علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٩٨م، ٢/٤٠٨.

٥٠- أحمد السهيلي، الروض الأنف، ٤/١٠٥، ذكره أبو رفاعة وثيمة بن موسى بن الفرات.

أومن به، وأصدقته (٥١).

عمرو بن العاص:

أبو عبد الله السهمي، كان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية، وكان شاعراً حسن الشعر، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلم إليهم من عنده من المسلمين، فلم يفعل، وقال له: يا عمرو، وكيف يعزب عنك أمر ابن عمك، فوالله إنه لرسول الله! قال: أنت تقول ذلك؟! قال: إي والله، فأطعني، فخرج من عنده مهاجراً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسلم عام خيبر. وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم أميراً على سرية إلى ذات السلاسل أرض بليّ وعذرة، يستألفهم بذلك، ويدعوهم إلى الإسلام. قال الذهبي: داهية قريش ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة والدهاء والحزم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا استضعف رجلاً في رأيه وعقله قال: أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد، يريد خالق الأضداد. وقد فتحت على يده مصر.

أرسله عليه الصلاة والسلام بكتابه إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بعمان، قال: فخرجت حتى انتهيتُ إلى عمان، فقدمتُ على عبد، وكان أسهل الرجلين، فقلت له: إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك، فأخبره بإسلام النجاشي وما يدعو إليه النبي صلى الله عليه وسلم من التوحيد والبر وصلة الرحم، وينهى عن المعصية، وعن الظلم والعدوان، وعن الزنا وشرب الخمر وعبادة الحجر والوثن والصليب.

فقال له عبد: ما أحسن هذا! لو كان أخي يتابعني لركبنا إليه حتى نؤمن به، ولكن أخي أضنُّ بملكه من أن يدعه، قلت: إنه إن أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه، قال: ثم أخبر أخاه بخبري، فدعاني، فدخلت عليه ودفعت إليه الكتاب، ففضَّه وقرأه، ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه مثله، إلا أن أخاه أرق منه، وقال لي: ما صنعت قريش؟ قلت: ما منهم أحد إلا وأسلم إما راغباً في الإسلام، وإما مقهوراً بالسيف، وقد دخل الناس في الإسلام وعرفوا بعقولهم مع هداية الله أنهم كانوا في ضلال، وإني لا أعلم أحداً بقي غيرك، وأنت إن لم تسلم، تطأك الخيل، وتبد خضراءك، فأسلم تسلم، قال: دعني يومي هذا (٥٢).

٥١- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ٦/٢، ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/٢٧٨، محمد بن عبد الله بن يحيى ابن سيد الناس، عيون الأثر، شرح إبراهيم رمضان، ط ١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٦٤/٢، ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١/٣٧.

٥٢- المصدر السابق، ١/٣٦٨، ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ٣/١٧٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣/٥٤ ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/٣٥٦.

المهاجر بن أبي أمية:

المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي. أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأبيها وأمه، كان اسمه الوليد فكرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه المهاجر، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن، واستعمله رسول الله على صدقات كندة والصدف، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسر إليها، فبعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال من باليمن من المرتدين، وهو الذي فتح حصن النجير بحضر موت (٥٣).

ومما قاله للحارث بن عبد كلال: "يا حارث، إنك كنت أول من عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فخطت عنه وأنت أعظم الملوك قدراً، فإذا نظرت في غلبة الملوك فانظر في غالب الملوك، إنك أنت أعظم الملوك، قد أفاد أسرك، فخف غدك، وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها، وبقيت أخبارها، عاشوا طويلاً، وأملوا بعيداً، وتزودوا قليلاً، منهم من أدركه الموت، ومنهم من أكلته النقم، وإنني أدعوك إلى الرب الذي إن أردت الهدى لم يمنعك، وإن أراذك لم يمنعك منه أحد، أدعوك إلى النبي الأمي، الذي ليس شيء أحسن مما يأمر به، ولا أقبح مما ينهى عنه، واعلم أن لك رباً يميئ الحي ويحيي الميت، ويعلم ما تخفي الصدور" (٥٤).

هذه هي تراجم كوكبة من صحابة المصطفى الذين اصطفاهم النبي عليه الصلاة والسلام للدعوة، وهم يتنظمون في قوافل الدعاة الذين كانوا يجوسون صحراء الجزيرة حاملين مشاعل الدعوة، فمنهم من قضى نحبه حينئذ أو قبلها، ومنهم من انتظر بعض الوقت حتى شارك في أعمال أخرى جرت في صدر الإسلام، ومن قضى نحبه شهداء الرجيع وشهداء بئر معونة، وهكذا تأتي هذه الأسماء التي عشنا في طيب ذكراها، وعلينا أن نبذل ما استطعنا لهذا الدين غير متوانين في تبليغ الدعوة، وهذه قبور هؤلاء الدعاة من الرعيل الأول شاهدة على دورهم وجهادهم وتضحيتهم.

مواصفات سفراء الإسلام:

البيان والفصاحة:

لا جدال في أهمية البيان في الدعوة، وقد أثنى الله عليه وعدّه من نعمه الجليلة على عباده، فقال

٥٣- ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ٤٩ ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ٤٥٦، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ١/ ١٩١.

٥٤- أحمد السهيلي، الروض الأنف، ٤/ ٣٩٢.

الله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(٥٥)، وقال موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾^(٥٦)، وقال أيضاً: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ﴾^(٥٧)، وفي حديث عمر عند البخاري قال ابن عمر: جاء رجلان من المشرق فخطبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من البيان لسحراً". فلا بد لمن يضطلع بهذه المهمة الكبيرة - وهي مخاطبة الملوك - أن يكون له من البيان حظ وافر، وكانت الوفود التي ترد المدينة تختار من فصحاءها من يكون لسانا لها يعبر عنها، ويفصح عن أمرها. وتأمل ما مرّ بك آنفاً من حديث هؤلاء الرسل تجد الفصاحة التي يتوصلون بها إلى تحقيق هدفهم، وأسرع ما يجد الكلام منفذاً في قلب الملوك إن أدي ببلاغة.

وأعد النظر في قول حاطب مثلاً تجد سر هذا الاختيار وأهمية هذا المؤهل، وقد أجاب المقوقس بحجة رائعة لا يملك لها أحد رداً، وذلك حين سأله المقوقس قائلاً: كتب إلي صاحبك أن أتبعه على دينه، فما يمنعه إن كان نبياً أن يدعو الله أن يسلط عليّ البحر فيغرقني فيكتفي مؤونتي ويأخذ ملكي؟ فأجابه: فما صنع عيسى إذ أخذته اليهود فربطوه في حبل وحلقوا وسط رأسه، وجعلوا عليه إكليل شوك، وحملوا خشبته التي صلبوه عليها على عنقه، ثم أخرجوه وهو يبكي حتى نصبوه على الخشبة، ثم طعنوه حيا بحربة حتى مات؛ هذا على زعمكم، فما منعه أن يسأل الله فينجيه ويهلكهم فيكفي مؤونتهم ويظهر هو وأصحابه عليهم؟ وما منع يحيى بن زكريا حين سألت امرأة الملك أن يقتله فقتله، وبعث برأسه إليها حتى وضع بين يديها، أن يسأل الله تعالى أن ينجيه ويهلك الناس؟ فأقبل على جلسائه وقال: إنه والله لحكيم إلا من عند الحكماء^(٥٨).

واقراً أيضاً ما قاله عمرو بن أمية للنجاشي ومنه "إننا لم نظن بك خيراً قط إلا لننا، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذنا الحجة عليك من فيك، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد، وقاض لا يجور، وفي ذلك الموقع الحز، وإصابة المفضل، وإلا فأنت في هذا النبي الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم" وهكذا ترى في كثير مما مر يظهر دور البيان في تحقيق الغاية.

٥٥- سورة الرحمن، الآيتان: ٣-٤.

٥٦- سورة القصص، الآية: ٣٤.

٥٧- سورة الشعراء، الآية: ١٣.

٥٨- أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠١م، ١/١٨٧، المباركفوري، الرحيق

المختوم، ص ٣٢٤ بتصرف.

الشجاعة:

والشجاعة مؤهل مهم يناط به مخاطبة الملوك، وتعد شرطاً مهماً لمن يقوم بهذه المهمة، فإنه يعرض نفسه للتلف حيث أن أخذ ما في أيديهم مسلك دحض مزلة، فلا بد من امتلاك الشجاعة، وقد روى أبو حاتم بن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة؟ فقال رجل من القوم: وإن لم يقبل؟ قال: وإن لم يقبل. فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس قد جعل عليه بساط لا يمشي عليه غيره فرمى بالكتاب على البساط وتنحى فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه فنأدى قيصر: من صاحب الكتاب؟ فهو آمن، فجاء الرجل فقال: أنا (٥٩).

وما يدل على شجاعة السفراء ما ذكره عمرو بن العاص لجيفر وعبد ابني الجلندي بقوله: "وقد دخل الناس في الإسلام، وعرفوا بعقولهم مع هداية الله أنهم كانوا في ضلال، وإني لا أعلم أحداً بقي غيرك، وأنت إن لم تسلم، تطأك الخيل، وتبد خضراءك، فأسلم تسلم".

والبعثة إلى الملوك قد يعترها الصعوبة، ولا يسلم صاحبها من تجشم الصعاب، كما قد يعترض طريقه بعض السفهاء فينال منه بل قد يسلبه حياته نفسها، وما خبر الحارث بن عمير الأزدي اللهيبي بعيد، فقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم وقيل إلى ملك بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطاً ثم قدمه فضرب عنقه صبراً، فلما اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم خبره بعث البعث الذي بعثه إلى مؤتة، وأمر عليهم زيد بن حارثة في نحو ثلاثة آلاف، فلقيتهم الروم في نحو مائة ألف، وكانت غزوة مؤتة، وهي بأدنى البلقاء من أرض الشام في جمادى الأولى سنة ثمان (٦٠).

الصبر:

وهي حلية يجب أن يرتديها الداعية، فضلاً عن من كان وكيلاً في دعوة الأمراء والملوك، فمتى تزين بها فإنه يبذل جهده في تحقيق هدفه من غير عجلة من أمره. وقد مدح الله أهله، ووصف به خيرة أنبيائه

٥٩- انظر: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، صحيح ابن حبان، مكتبة طيبة، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٩/١٩، نور الدين الهيثمي، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق: حسين أحمد صالح البكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ٢٠٢/١، من طريق معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن حميد الطويل عن بكر بن عبد الله مرفوعاً.

٦٠- عيون الأثر، ١٦٥/٢، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ٣/٣٣٦، ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/٨٨، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ١/١٩٣، ابن الأثير، أسد الغابة، ١/٢١٦.

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (٦١). قال شجاع بن وهب يصف الصبر الذي تحلى به حين انتهى إلى الحارث بن أبي شمر: "فأقمت على بابه يومين، أو ثلاثة".

ولعمري إنهم أحق بالوصف من مدح الشاعر القائل في واصل بن عطاء (٦٢):

له خلف بحر الصين في كل بلدة إلى سوسة الأقصى وخلف البرابر
رجال دعاة لا يفيل عزيمهم تهكم جبار ولا كيد ماكر
إذا قال مروا في الشتاء تسارعوا وإن جاء حر لم يخف شهر ناجر

العلم:

والمراد بالعلم هنا أن يكون الداعية على دراية بأحوال المدعويين، وأخبار بلادهم تاريخياً وسياسياً معرفة تمكنه من استغلالها في التبليغ، ولقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة إلى كسرى لتردده على بلده، كما أنه اختار سليطا إلى اليمامة للسبب ذاته، ومثلها دحية إلى الشام، وهكذا يحسن اختيار الدعاة على هذا السبيل المقيم.

سعة الحيلة:

ما أحوج الداعية لا سيما الذي يخاطب عليه القوم أن يكون له من سعة الحيلة حظ كبير، فلا يُغلق في وجهه باب إلا وطرق حلق أبواب أخرى، وما يزال يدمن القرع حتى يوشك أن يجد إلى الدخول طريقاً.

فمن سعة الحيلة ما ابتدأ به حاطب في قوله للمقوقس: "اعلم أنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بغيرك بك".

ومنها أيضاً خروج عمرو بن أمية من مأزق كاد أن يتورط فيه حين قيل للنجاشي: إنه يزعم أن عيسى عبد، فأجاب: كلمة الله وروحه، قال النجاشي: ما استطاع (عيسى) أن يعدو ذلك. وقد ذكر ذلك عن جعفر بن أبي طالب أيضاً.

٦١- سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

٦٢- سلمان العودة، من أخلاق الداعية، مطبعة سفير بالرياض، ٢٠٠١م، ٢٢/١، وأبو بكر بن جابر الجزائري،

هذا الحبيب محمد يا محب، ط ١٩٩٢م، ص ٣٥٥.

المظهر وحسن الوجه (٦٣):

ينبغي أن يكون المبعوث رسولا للملوك والأمراء حسن المظهر، فيه من الصفات الخلقية أحسنها، فإنه أدعى للقبول، خلافاً لذي العاهة والمرض والعيب، فإنه هنا لا يجزئ في الأخذ عنه غالباً، وقد روى البزار من حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أبردتكم إليّ بريداً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم"، وفي رواية أبي هريرة مرفوعاً: "إذا بعثتم إلى رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم". قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفي إسناد الطبراني عمر بن راشد؛ وثقة العجلي وضعفه جمهور الأئمة، وبقيّة رجاله ثقات (٦٤).

وفي هذا السياق أيضاً يأتي تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع رسولي باذان الذي سيأتي خبره، وكان قد دخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما وأعفيا شواربهما فكره النظر إليهما وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟ قالوا: أمرنا بهذا ربنا؛ يعنينا كسرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكن ربي قد أمرني بإعفاء لحيتي وقص شاربي، كذا رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (٦٥).

٦٣- محمد معروف الدواليبي، أثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، قطر، ١٩٨١م، ج ٧، ص ٢٠٧ بتصرف، ومحمد سليمان المنصور فوري، رحمة للعالمين، دار السلفية، بومباي، الهند، ١٩٨٩م، ج ١، ص ٧٥.

٦٤- الحديث له طرق عن بريدة بسند صحيح، وقد صحّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير، المكتبة الإسلامية، بيروت، رقم: ٢٥٩، والسلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، ١٤١٥هـ، ١١٨٦، أبو الفضل محمد بن طاهر بن أحمد المقدسي، تذكرة الموضوعات، تحقيق: محمد أمين الخانجي الكتبي، ١٩٧٥م، ١/١٦٣، كنز العمال، ٦/٤٥. أما زيادة "جسماً" في رواية: الخرائطي في اعتلال القلوب عن أبي أمامة مرفوعاً "إذا بعثت إليّ بريداً فاجعله جسماً وسياً حسن الوجه" فلا تصح. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٣، ص ٣٨٤، الألباني، ضعيف الجامع الصغير، المكتبة الإسلامية، بيروت، رقم: ٤١٦، وانظر: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله ابن الجوزي، الموضوعات، تحقيق: ياسر بن إبراهيم بن محمد أبو تميم، مكتبة الرشد شركة الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ١/١٦٠.

٦٥- أبو نعيم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق: محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ، ١/٢٧٩، وقال الألباني: حديث حسن. أخرجه ابن جرير، ٢/٢٦٧ - ٢٦٧ عن يزيد ابن أبي حبيب مرسلًا وابن سعد في الطبقات، دار صادر، بيروت، ج ١، ق ٢، ص ١٤٧ عن عبيد الله بن عبد الله مرسلًا أيضاً وسنده صحيح ووصله ابن بشران في الأمالي من حديث أبي هريرة بسند واو. انظر: تحقيق فقه السيرة للغزالي ودفاع عن الحديث النبوي، ١/٥١.

وهكذا فلا بد على الدعاة من مراعاة هذه الأمور التي تؤثر على قبول الدعوة سلبيًا وإيجابيًا، واقتفاء أثر النبي صلى الله عليه وسلم في اختيار رسله في تبليغ الدعوة إلى الله في الآفاق، وبذكر هذه المواصفات نكون قد أرخينا الستر على الفصل الأول وما حمله من معاني تكون بين يدي المبحث الثاني.

المبحث الثاني:

عرفنا خلال الصفحات السابقة البلاد التي خاطب النبي صلى الله عليه وسلم حاكميها من الناحية الجغرافية والتاريخية والسياسية والفكرية، فالأصالة كانت للفرس والروم، وتحت عباءة هاتين الدولتين تدرج الممالك العربية، كما أشرنا إلى بعض ما مرّ بها من أحداث عظيمة، كما عرفنا الزمن الذي بعث فيه، وهو إبان صلح الحديبية، وعرفنا ترجمة حاملها، وهي معرفة لا بد منها في مناقشة الرسائل، وأن لنا أن نرحل مع الحديث عن المبحث الثاني الذي نريد أن نذكر فيه ثلاثة أمور، هي:

- نصوص الرسائل النبوية للملوك.
- مناقشة معالمها التي تضمنتها ليستفيد منها الدعاة.
- جواب الملوك وردودهم المتباينة إزاء الدعوة إلى الإسلام، وسنة الله فيهم.

منهج الرسالة النبوية:

كان لرسائل النبي صلى الله عليه وسلم منهج خاص فيما يتعلق بشكل كتبه ومضمونه من خلال

المعالم الآتية:

- افتتاح الرسالة بالبسملة: أي بسم الله الرحمن الرحيم.
- ثم يكتب من محمد بن عبد الله رسول الله إلى... ويذكر اسمه وصفته.
- ثم التحية بالسلام.. فتارة يكتب سلام عليك أو سلام على من اتبع الهدى.
- ثم يكتب أما بعد. وتحتها يكتب صلب الرسالة أو الموضوع الأساسي الذي كتبت من أجله الرسالة.
- الختام بالسلام (٦٦).
- الحس البلاغي: يرد في رسائله صلى الله عليه وسلم الحس البلاغي المرهف من المنشئ والمتلقي.
- ومن ذلك التقابل والتضاد: فيزداد وضوحًا وبيانًا، وفي مجالات الترغيب والترهيب، وإقناع

٦٦- جابر قميحة، أدب الرسائل في صدر الإسلام: عهد النبوة، كلية الألسن، جامعة عين شمس، دار الفكر العربي،

المرسل إليه بقبول الدعوة. كما في كتابه لهرقل: "أسلم، تسلم، يؤتك الله أجرًا مرتين". وفي رواية أخرى لكتاب المقوقس، "وقد دعوتك إلى إقرار بوحدانيته فإن قبلت سعدت، وإن أبيت شقيت" (٦٧) فالعبارات سهلة وواضحة.

- التدقيق والترسل: حيث يجري الكلام في يسر وبتزيين بضروب الصنعة أمراً مقصوداً لذاته وخصوصاً السجع، فكتبه صلى الله عليه وسلم نموذجاً للفصيح البليغ التي يتسنى قمة البيان الإنساني الترسل سمة غالبية على بيانه وكتبه بيانا بليغا، ومن نماذجه ما جاء في كتابه إلى المنذر بن ساوي ملك البحرين "فإن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم.." (٦٨).

المطلب الأول: نصوص الرسائل:

نكون الآن قد وصلنا إلى الرسائل التي بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء، ونذكرها هنا، ثم نرجع على المعالم الدعوية التي تضمنتها، وهي على النحو التالي:

الكتاب إلى قيصر:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب مع دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرًا مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٦٩).

ولنا وقفة عند لفظة "الأريسيين" لأنها قد تكشف عن الجانب الخبيء في موقف هرقل من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وتفصح عن تردده واضطرابه في شأن الدعوة، فقد ذكر الحافظ في فتح الباري أنها جمع أريسي، بمعنى الأكار أو الفلاح كما جاء مصرحاً به في رواية ابن إسحاق عن الزهري بلفظ "فإن عليك إثم الأكارين"، وفي رواية المدائني من طريق مرسل "فإن عليك إثم الفلاحين"، وكذا عند أبي عبيد في كتاب الأموال من مرسل عبد الله بن شداد: "وإن لم تدخل في الإسلام فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام".

٦٧- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٧م، ١/٣٧٨.

٦٨- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط ٧، ١٤١٨هـ، ١/١٥٩.

٦٩- رواه أبو عبد الله محمد بن إسحاق البخاري، في صحيحه، دار السلام، الرياض، ١٤١٤هـ، ١/٨.

وللطحاوي تفسير لها كما في مشكل الآثار جوز أن تكون النسبة إلى فرقة تعرف بالأروسية،
توحد الله عز وجل، وتعترف بعبودية المسيح صلى الله عليه وسلم له عز وجل، ولا تقول فيه شيئاً مما تقوله
النصارى في ربوبيته ونبوته، وأنها متمسكة بدين المسيح صلى الله عليه وسلم، وإلى هذه الفرقة ينتمي
هرقل.

وجاز أن تكون هذه الفرقة علمت بمكان النبي صلى الله عليه وسلم وبدينه قبل أن يعلمه قيصر
فلم يتبعوه ولم يدخلوا فيه ولم يقرؤا بنبوته، وفي كتاب عيسى عليه السلام بشارته به، فخرجوا بذلك من
دين عيسى؛ لأن عيسى الذي يؤمن به هو عيسى الذي بشر بأحمد لا عيسى سواه، فكتب النبي صلى الله
عليه وسلم إلى قيصر: "إنك إن توليت فعليك إثم الأريسيين الذين خرجوا من ملة عيسى عليه السلام".
وأن الإثم الذي يكون عليه إن تولى إنما هو مثل إثم الأريسيين لا إثم الأريسيين بعينه (٧٠).

الكتاب إلى كسرى:

بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي، منصرفه من الحديبية إلى كسرى،
وبعث معه كتاباً محتوماً، فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس؛ سلام
على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله
أدعوك بدعاية الله، فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم
تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس".

وأخرجه البخاري مختصراً عن ابن عباس رضي الله عنهما "بعث بكتابه مع عبد الله بن حذافة
السهمي، وأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزقه. قال
ابن شهاب: فحسبت أن ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل
مزق" (٧١).

الكتاب إلى النجاشي:

هذا الكتاب إلى أصحابه أرسله مع عمرو بن أمية الضمري، وفيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من
محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة، سلم أنت فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس

٧٠- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٧/١، الإمام أبو جعفر الطحاوي، مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط،

مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ٦/٥.

٧١- زاد المعاد، ١١٦/١، جمال الدين الزيلعي، نصب الرأية لأحاديث الهداية، طبعة دار الحديث، ٤٧١/١٣، عيون الأثر،

٣٢٧/٢.

السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فأقبلوا نصيحتي، والسلام على من أتبع الهدى" (٧٢).

الكتاب إلى المقوقس:

كتب إلى المقوقس مع حاطب بن أبي بلتعة بكتاب مختوم، فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من أتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾" (٧٣).

الكتاب إلى ملك البلقاء:

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحارث بن أبي شمر الغساني كتابا مرجعه من الحديبية، فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من أتبع الهدى وآمن به وصدق، وإني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك" (٧٤).

الكتاب إلى ملك اليامة:

وكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن علي الحنفي صاحب اليامة، مع سليط بن عمرو العامري، فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي، سلام على من أتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر، أسلم تسلم، وأجعل لك ما تحت يديك" (٧٥).

الكتاب إلى ملك البحرين:

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، فيه: "من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام على من أتبع الهدى، أما بعد: فإني

٧٢- عيون الأثر، ٢/ ٣٣٠، نصب الراية، ١٣/ ٤٧١، زاد المعاد، ١/ ١١٦.

٧٣- عيون الأثر، ٢/ ٣٣١، نصب الراية، ١٣/ ٤٧٣، زاد المعاد، ١/ ١١٦.

٧٤- نصب الراية، ١٣/ ٤٧٦، عيون الأثر، ٢/ ٣٣٨، زاد المعاد، ١/ ١١٦.

٧٥- زاد المعاد، ١/ ١١٦، نصب الراية، ١٣/ ٤٧٧.

أدعوك إلى الإسلام، فأسلم تسلم، أسلم يجعل الله لك ما تحت يديك، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر" (٧٦).

الكتاب إلى ملكي عمان:

وبعث إلى جيفر وعبد ابني الجلندي بكتاب كتبه أبي بن كعب، وختم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب، وأرسله مع عمرو بن العاص وفيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من أتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقرتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما" (٧٧).

هذه كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، وقد اكتفى في بعثته المهاجر بن أبي أمية إلى اليمن بأن يقرأ عليهم سورة البيّنة، وكفى بها من موعظة كما سيأتي الحديث عن ذلك، وبقي علينا استعراض المعالم الرئيسة التي تضمنتها هذه الكتب، وهو ما سيأتي خلال السطور التالية.

المطلب الثاني: معالم دعوية من الرسائل النبوية:

إن هذه الرسائل النبوية التي خاطب النبي بها ملوك العالم يمكن الوقوف عند ما تضمنته من

معالم على النحو التالي:

أولاً - عالمية الإسلام:

إنها تجسد الغاية التي بعث من أجلها النبي صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته، فلم يبعث للعرب خاصة بل للعالمين كافة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٧٨)، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما مرفوعا: "لقد أعطيت الليلة خمسا ما أعطينهن أحد قبلي، أما أنا فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه... رواه أحمد بسند حسن، وفي رواية أبي ذر عن أحمد والدارمي بإسناد صحيح: "أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي: بُعثت إلى الأحمر والأسود..." (٧٩).

٧٦- نصب الراية، ١٣/٤٧٠، زاد المعاد، ١/١١٦ وفيه: ليلال يقين من رجب سنة تسع، منصرفه من تبوك.

٧٧- نصب الراية، ١٣/٤٧٤، زاد المعاد، ١/١١٦، عيون الأثر، ٢/٣٣٤.

٧٨- سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

٧٩- محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل، دار المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ، ١/٣١٧.

وقد تقدم تسمية صلح الحديبية بالفتح مع أن كثيراً من الصحابة أصابهم الهم بتوقيعه لما عدوه ضيماً بادي الرأي، ولم يدروا أن الدعوة العالمية ستنتقل لتأخذ مكانها، فيدخل الناس بعدها في دين الله أفواجا.

وقد أخذ الدعاة الراية بعد رسولهم الكريم، وتحملوا تبعه نشر الدين في العالم، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٨٠).

ثانياً - مخاطبة الملوك من أساليب الدعوة:

من أساليب الدعوة مخاطبة الملوك والأمراء، وكل مطاع وسيد في قومه، وكل ذي مكانة وجاه وكلمة مسموعة، وتخصيصهم بخطاب حتى يتبين موقفهم من دعوة الإسلام، ويتوصل إلى من تحت نفوذهم، فلا بأس أن ينظر إلى مكانتهم التي تبوأوها، بل ذلك من الحكمة التي يؤخذ بها. فمن الأسس التي أرساها القرآن الكريم مخاطبة رؤوس الكفر، والمضي في الحوار معهم، والمجادلة والتي هي أحسن، وهي من أبرز وسائل الدعوة إلى الله، وأهم قواعد الدعوة ومبادئها، وأنجح وسائلها وطرائقها، وها هو القرآن الكريم يرسم لنا المنهج القويم في ذلك، ويخلد رسالة نبي الله سليمان عليه السلام إلى بلقيس بكلام عربي مبين كما سبق، وبيننا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبحث عمّن يقبل دعوته، ويعرض نفسه على شيوخ القبائل، ويبدل الجهد في هداية زعماء قريش، ويصبر على كل مرحلة، أتت مرحلة مخاطبة العالم أجمع.

فلننظر في دستور الدعوة، ونهتدي برسولنا في مخاطبة العالم، وننزل الناس منازلهم.

ثالثاً - الإسلام دين السلام:

"أسلم تسلم" هكذا كان يكتب الرسول عليه الصلاة والسلام للملوك مذكراً لهم محل السلامة وسبيلها، ولو تدبر هؤلاء الملوك الذين ضنوا بملكهم، وأعرضوا عن قبول الدعوة خوفاً من زوال ملكهم جواب الطلب لا اختاروا دين الحق، فالسلامة لا تشمل النجاة من هلكة كفرهم بل فيها الإشارة أيضاً إلى سلامة ملكهم لو نظروا لعموم اللفظ، فالدين الإسلامي دين سلام يبذله لمن أراده، ويبدأ به أولاً حتى تزال عن الإسلام وعتاء ما شوّهه به بعض الناس، فالواجب على الدعاة بذل السلام أولاً، وإبداء الموعظة الحسنة، والرفق بالمدعوين.

وكانت وصيته عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالناس خيراً من خلال دعوتهم، وكان عليه السلام يكافئ عن الهدية بأحسن منها، فأبى هدية أعظم من وصيته بالقبض بسبب هدية ملكهم الذي سيأتي جوابه، وكان لا يقبل هدية مشرك محارب، وإنما يقبلها على سبيل الفيء، وقبلها من الموقوس لأنه لم يكن محاربا للإسلام، بل كان قد أظهر الميل إلى الدخول في الدين، فقد ثبت في صحيح مسلم "ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحمًا". قال النووي: وفي رواية "ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط، وفيها: فإن لهم ذمة ورحمًا". وعنه عليه السلام أنه قال: "إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبض خيراً، فإن لهم ذمة ورحمًا" أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١).

رابعاً - تنوع الخطاب:

إن الحكمة تقضي بتنوع الخطاب الدعوي وتعدد أساليبه، واختيار الطريقة المناسبة لكل قوم، وعدم الاكتفاء بلون واحد من الخطاب تتوجه به إلى الجميع، فالخطاب العقلي قد يكون أمضى عند قوم، وقد يكون أسلوب الوعظ مقبولاً عند آخرين، فلا بد من النظر في أحوال المخاطبين وظروفهم، والمفاتيح التي تفتح بها الأبواب، ومراعاة استعداد النفوس لذلك.

فهذه رسائل النبي صلى الله عليه وسلم تنوع فيها الخطاب، فتارة بالموعظة وتارة بالجانب العقلي، ومن الخطأ أن تستبد الحماسة والاندفاع بالداعية، ولا يراعي الفروق الموجودة بين المخاطبين، فالهدف هو إظهار الحق ونشر الإسلام.

خامساً - الترغيب والترهيب دعامتان للدعوة:

يعد الترغيب والترهيب دعامتين للدعوة، وهما كالجنحين للطائر، فكما أن الطائر لا يطير إلا بهما، فكذلك لا بد أن تنطلق الدعوة بهذين الأمرين، وقد وردت هذه الرسائل تحمل في طياتها البشارة والندارة، واللين والشدّة، ولكن البدء إنما يكون بلين القول والموعظة وحسن الاستعطاف، والاستلطاف، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٨٢) وقوله لموسى

٨١- صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، ٤/١٩٧٠، النووي، شرح صحيح مسلم، مؤسسة قرطبة، ط ١،

١٤١٢هـ، ٩٧/١٦، الألباني، السلسلة الصحيحة، ١٣٧٤.

٨٢- سورة النحل، الآية: ١٢٥.

وهارون قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٨٣). ومقابل هذا فلا بد من الجناح الآخر، وهو الترهيب من مخالفة دين الله، وأن العذاب على من كذب وتولى.

وبعد هذا تأمل هذا المحور تجده واضحاً في ثنايا الرسائل، ولا يخفى عليك ما في قوله عليه السلام لابني الجلندي "وإنكما إن أقرتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحمل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما"، وعلى هذا فقس. فالعنف لا يبلغ دعوة، كما أن غض الطرف عن كيد الأعداء بدعوى السباحة لا يوصل حقاً، وكلا طرفي الأمور ذميم، والقصد هو التوسط باستعمال الترغيب والترهيب على السواء وبالقدر الملائم.

سادساً - وطد تعاليم الإسلام من دفع الظلم ونشر العدل وكرامة الإنسان:

ورفع مكانته والتعاون على البر والتقوى ونصرة المظلوم وإبداء النصح واتخاذ القرآن سبيلاً لتوضيح الفكرة وجلب القلوب باللين والموعظة الحسنة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٨٤).

فقد دعا الحارث الغساني إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، وكان أكثر صراحة وحرية مع ملك البحرين فقد قال: "فإن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله" وأعطى للمجوس خياراً بدفع الجزية لمن لم يؤمن وكان من جراء ذلك أن أسلم جماعة من أهل البحرين. وكانت الرسائل تأخذ الأمور بالتدرج وفتح الباب للدعاة للتواصل مع الشعوب.

سابعاً - اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً في التعامل مع أولي السلطان:

ويذكرهم بمسؤوليتهم عن الناس فإذا امتنعوا عن الإسلام كان عليهم الإثم، وإثم رعاياهم لأنهم يتبعون سلطانهم. مثل ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم: "فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين".

ولقد أفرهم صلى الله عليه وسلم على عروشهم إن هم أسلموا، وتضمنت الرسائل مخاطبة الملوك وإنزالهم منازلهم بعبارات الاحترام والتقدير "عظيم الروم، عظيم الحبشة، عظيم القبط، عظيم فارس.."(٨٥).

٨٣- سورة طه، الآية: ٤٤.

٨٤- سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

٨٥- حنان لحام، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.

ثامناً - خدمت تلك الرسائل الإنسانية فهذبت النفوس وحملتهم على العدل والإحسان:

فوافقت الفطرة السليمة والقيم الفاضلة، واستعمال أساليب مؤثرة وجذابة تستدعي الانتباه وتستميل القلب فقد سيطرت ألفاظاً دقيقة وضعت الأسس المتينة والقواعد الجديدة والمصطلحات الإسلامية الصريحة لإرساء دعائم العقيدة بسلاسة العبارة وجزالة الأسلوب وتركيب المعاني ووضوح الأهداف.

تاسعاً - إشاعة جو الأمن والسلام، ومرونة الشرع في الدبلوماسية التي تميل إلى الرفق واللين وإشاعة التسامح بين الناس:

والرأفة والرحمة في الخطاب والتحذير من الإعراض والاستكبار، وقد أرسل صلى الله عليه وسلم لفيثا من الصحابة رضي الله عنهم الذين يعرفون اللسان الأعجمي ويهارسون النشاط التجاري ويدعون الناس بالحكمة والموعظة الحسنة ويملكون الأسلوب المتميز في تهيئة الأجواء لمعرفة دعوة الحق (٨٦).

عاشراً - الرسائل كان لها تأثير إعلامي كبير وحملت قمة البلاغة العربية:

وأهم دواعي الانبهار والدهشة أن الذي أتى بهذا الكتاب رجل أُمي لا يقرأ ولا يكتب، وهذا في ذاته أقطع الأدلة على أن القرآن العظيم من عند الله سبحانه وتعالى، وأنه ليس بقول بشر "كأنها تكاشفه أوضاع اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها، فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطاباً، وأسدهم لفظاً وأبينهم عبارة" (٨٧). وقد وصف الجاحظ بيان الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاً جامعاً "هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى - قل يا محمد وما أنا من المتكلمين -".

لقد هيئت الرسائل دخول الإسلام ببسر وسهولة من خلال السفراء والدعاة وتعلم لغات الأمم للحوار معهم وإقناعهم ليتفاعلوا معه ويظهره الله على الدين كله ولو كره المشركون.

المطلب الثالث: ردود الملوك على الرسائل:

لقد تباينت ردود الملوك والأمراء الذين بعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بكتبه ودعاهم إلى

٨٦- محمد بن أحمد المحبوب، دور الكتب النبوية في التسامح ونشر الإيثار: قراءة في فقه السيرة ودبلوماسية الإسلام، نواكشوط، موريتانيا، ص ٧.

٨٧- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٨، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، ص ٣١٥.

الإسلام، فبينما قبل بعضهم الدعوة، رفضها بعضهم بقسوة وفضاظة، وبين هذين الموقفين تأتي مواقف أخرى متفاوتة، ونحن نفصل القول فيها على النحو التالي:

جواب هرقل: الاستعلاء والاستكبار:

جاء جواب هرقل ملك الروم على كتب النبي صلى الله عليه وسلم مرتين؛ إحداهما: ردّه على الكتاب الذي كان في زمن الهدنة، والآخر: حين بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في تبوك، ويمكن الحديث عن كل واحد منهما على النحو التالي:

- أما جوابه في زمن الهدنة فقد أخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعله بين فخذه وخاصرته، وكتب إلى رجل برومية كان يقرأ الكتب يخبره شأنه، فكتب إليه صاحب رومية: إنه النبي الذي كنا ننتظره لا شك فيه فاتبعه وصدقه. فجمع هرقل بطارقة الروم في الدسكرة، وغلقت أبوابها، ثم اطلع عليهم من عليّة وخافهم على نفسه، وقال لهم: قد أتاني كتاب هذا الرجل يدعوني إلى دينه، وإنه والله النبي الذي نجده في كتابنا، فهلم فلتتبعه ونصدقه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا، فنخروا نخرة رجل واحد، ثم ابتدروا الأبواب ليخرجوا، فقال: ردوهم علي، وخافهم على نفسه وقال لهم: إنما قلت لكم ما قلت لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، وقد رأيت منكم ما سرتي، فسجدوا له، وانطلق وقال لدحية: إني لأعلم أن صاحبك نبي مرسل ولكنني أخاف الروم على نفسي، ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف الأعظم في الروم، واذكر له أمر صاحبك، وانظر ما يقول لك.

فجاء دحية وأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له ضغاطر: والله إن صاحبك نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا. ثم أخذ عصاه وخرج على الروم وهم في الكنيسة فقال: يا معشر الروم، قد جاءنا كتاب من أحمد يدعوننا إلى الله، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. قال: فوثبوا عليه فقتلوه.

فرجع دحية إلى هرقل وأخبره الخبر. قال: قد قلت إنا نخافهم على أنفسنا، وقال قيصر للروم: هلموا نعطيهِ الجزية، فأبوا، فقال: نعطيهِ أرض سورية، وهي الشام، ونصلحه فأبوا، واستدعى هرقل أبا سفيان وكان بالشام تاجراً، إلى الشام في الهدنة، فحضر وسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى تأكد الخبر.

وكتب كتاباً، وأرسله مع دحية يقول فيه للنبي صلى الله عليه وسلم: إني مسلم ولكنني مغلوب على أمري. وأرسل إليه هدية، فلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه قال: "كذب عدو الله ليس بمسلم،

بل هو على نصرانيته"، وأعطى دحية دنانير (٨٨).

وقد قدم دحية بالجواب هذا فوجد رسل عمال كسرى على صنعاء بعثهم إليه فوافاهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨٩).

- وأما الكتاب الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل من تبوك، فقد دعا هرقل بعد أن تلقاه قسيبي الروم وبطارقتها، ثم غلق عليه وعليهم الدار، قال: نزل هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال: يدعوني أن أتبعه على دينه، أو أن نعطيهم مالنا على أرضنا والأرض أرضنا. أو نلقي إليه الحرب. والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب لتأخذن ما تحت قدمي فهلم تتبعه على دينه أو نعطيهم مالنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا: تدعوننا إلى أن نذر النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز، فلما ظن أنهم إن خرجوا أفسدوا عليه رفاقهم وملكه، قال: إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم.

ومما يدل أنها الرسالة الثانية ما ورد في حديث التنوخي الذي بعثه هرقل وأمره أن يحفظ ثلاث خصال إحداها صحيفته التي بعث بها قبل تبوك، فكان مما أجابه به رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أخا تنوخ، إني كتبت بكتابي إلى النجاشي فحرقها، والله محرقة ومحرق ملكه، وكتبت إلى صاحبكم بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأسا مادام في العيش خير" رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى. وقلت: زاد في كنز العمال: "إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه، والله يمزقه ويمزق ملكه..." وفيه أيضاً ما دام في العيش "صفوة" بدلا من لفظة "خير" (٩٠).

ولما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية عرض على أتباعه أن يعطي النبي صلى الله عليه وسلم أرض سورية - وهي حاليا فلسطين، والأردن، ودمشق، وحمص وما يتبعها، وما دون الدرب - قالوا: لا نفعل، قال: أما والله لترون أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكم. ثم جلس على بغل له، فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام، فقال: السلام عليك أرض سورية سلام الوداع، ثم ركض يطلب القسطنطينية.

٨٨- ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ٣٢، وعلي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ابن الأثير)، الكامل في التاريخ، ١/ ٣١٦،

ابن الجوزي، المنتظم، ١/ ٣٦٧، أحمد السهيلي، الروض الأنف، ٤/ ٣٩٠، مجمع الزوائد، ٣/ ٥٠٠.

٨٩- قال الهيثمي: رواه البزار وفيه إبراهيم بن إسحاق بن يحيى وهو ضعيف، مجمع الزوائد، ٣/ ٤٩٨.

٩٠- مجمع الزوائد، ٣/ ٤٩٨، قال الهيثمي: ورجال أبي يعلى ثقات ورجال عبد الله بن أحمد كذلك. وانظر: علي المتقي

حسام الدين الهندي، كنز العمال، ١/ ٢٦٨.

جواب كسرى: الاستعلاء والاستكبار:

لقد كان من سياسة الفرس وتاريخها الطويل ما دعا كسرى أن يستكبر، ويستتكف أن يأتيه كتاب من أعماق الجزيرة العربية وتحديدًا من حجازها، وهم الأمة الأمية التي لا وزن لها عند الأمم الكبيرة ولا قدر، ولكنه غرور في مملكة آلت مقاليدها إلى مثل هذا الأحمق المتصف بالطيش كما دل نزر يسير ذكرناه من تصرفاته، فكيف يا ترى كان رده وقد اخترق سمعه كلام لم يكن على بال؟ لقد شق الكتاب ومزقه وهو غضبان قد استشاط غضبا، وأتبعه قائلا: يكتب إليّ بهذا الكتاب وهو عبدي؟

وهكذا ظن كسرى بنبي الرحمة مثل ظنه الأمراء الذين يستنجدونه ويستنصرون به، وكان يوليهم على البحرين وعمان واليمن، فأرداه ظنه السيء، وهوى به في مكان سحيق.

وعمل كلام عبد الله بن حذافة في نفسه عمله، وما زال يتردد في سمعه التعريض بيوم ذي قار حيث دلت فارس أمام العرب، فكان مما قاله بعد تمزيق الكتاب: "لي ملك هنيء لا أخشى أن أغلب عليه ولا أشارك فيه وقد ملك فرعون بني إسرائيل، ولستم بخير منهم فما يمنعني أن أملككم وأنا خير منه، فأما هذا الملك فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب وأنتم أولئك تشبع بطونكم وتأبى عيونكم فأما وقعة ذي قار فهي بوقعة الشام". ولم يكتف كسرى بما قال، ولم يشف صدره هذا القول والسب حتى شفعه بتمزيق الكتاب، ثم عزز بفعل ثالث فما هو؟

أراد أن يستعيد توازنه الذي فقده بما خاطبه به النبي صلى الله عليه وسلم ويعمل أقصى ما يستطيع، فكتب إلى باذان عامله على اليمن بقوله: "ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جليدين فليأتياي به". فبعث باذان رجلين هما أبابوه وكان كاتبًا حاسبًا، وخرخسرو، وكتب معها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معه إلى كسرى، ومر الرسولان بالطائف فاستبشروا بذلك وفرحوا بالدائرة على النبي صلى الله عليه وسلم، ووصلا المدينة على الهيئة التي ذكرناها في مظهر الرسل، وقد حلقا لهما وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما، وأخبرهما أن الله قد أهلك كسرى وأمرهما أن يقولوا لباذان: إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من الأبناء، ثم أعطى خرخسرو منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك فخرجا من عنده حتى قدما على باذان وأخبراه الخبر.

فلم يلبث باذان إذ قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد فإنني قد قتلت كسرى ولم أقتله إلا غضبا لفارس لما كان قد استحل من قتل، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وأنظر الرجل الذي كتب إليك كسرى فيه فلا تهيجه حتى يأتيك أمري، فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إن هذا الرجل لرسول فأسلم، وأسلمت الأبناء من فارس.

وكان مهلك كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ماضين من جمادى الأولى سنة سبع، وإن الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله^(٩١). لقد قتله جزاء وفاقا كما قتل برويز أباه هرمز، قال شيرويه لأبيه: لا تعجب إن أنا قتلتك، فإنني أفتدي بك في سملك عيني أبيك هرمز وقتله، ولو لم تفعل ذلك مع أبيك، ما أقدم عليك ولدك بمثل ذلك. فأرسل في قتله فقتل، وحاقت به دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: "مزق الكتاب مزقه الله" فتمزق ملكه، فملك شيرويه، وقتل إخوته وعددهم سبعة عشر حسداً لهم وخوفا منهم، ثم ندم على قتل إخوته، وابتلى بالأسقام ثم هلك فولوا الملك بوران بنت كسرى برويز، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال: كما في حديث أبي بكر في الصحيح "لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة"^(٩٢).

وفي جواب كسرى يقول عبد الله بن حذافة شعرا:

أبى الله إلا أن كسرى فريسة	لأول داع بالعراق محمدا
تقاذف في فحش الجواب مصغراً	لأمر العريب الخائضين له الردى
فقلت له أرود فإنك داخل	من اليوم في البلوى ومنتهب غدا
فأقبل وأدبر حيث شئت، فإننا	لنا الملك فابسط للمسألة اليدا
وإلا فأمسك قارعا سن نادم	أقر يذل الخرج أو مت موخدا
سفهت بتمزيق الكتاب وهذه	بتمزيق ملك الفرس يكفي مبددا

جواب النجاشي أصحمة: المناصرة والتأييد:

أما النجاشي أصحمة فقد كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة: سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته، والله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فو رب السماء والأرض إن عيسى بن مريم لا يزيد على ما ذكرت تفروقا، إنه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يده لله رب العالمين"^(٩٣).

٩١- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ٢٤٦/١٢، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، دلائل النبوة،

٢٧٩/١، أحمد السهيلي، الروض الأنف، ١٠٥/٤.

٩٢- مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، حديث رقم ١٩٥٧٥.

٩٣- عيون الأثر في فنون المغازي والشئال والسير، ٣٣٠/٢، زاد المعاد، ٦٠٠/٣.

والتفروق علاقة ما بين النواة والقمع.

وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم هدايا وردت في كتب الحديث:

- منها العنزة بفتح النون عصا أقصر من الرمح لها سنان. وفي الطبقات لابن سعد أن النجاشي كان أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم.
- ومنها البغلة.
- ومنها حلية فيها خاتم من ذهب، فدعا أمانة بنت بنته لتلبسه كما عند ابن أبي شيبة من حديث عائشة.

وثبتت أم حبيبة على الإسلام فتزوّجها النبي صلى الله عليه وسلم وجّهها إليه النجاشي.

وقد بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم بهدية كما روى ذلك أحمد والطبراني عن أم كلثوم بنت أبي سلمة وهي بنت أم سلمة قالت: "لما تزوّج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة قال لها: إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأواق من مسك، ولا أرى النجاشي إلا قد مات ولا أرى هديتي إلا مردودة عليّ، فإن ردت عليّ فهي لك، قال: وكان كما قال"، الحديث. وإسناده حسن.

وتوفي النجاشي سنة تسع بالحبيشة، وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بموته يومه، وخرج بالناس إلى المصلى فصلى عليه والناس خلفه صفوف وكبر عليه أربعاً كما رواه البخاري (٩٤). وقولنا: النجاشي أصحمة، هو قيد للنجاشي الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسلم، كما في صحيح مسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب قبل مؤتة إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي صلى عليه.

وهذا النجاشي الأرعن كان له موقف سيئ من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بينه حديث التنوخي الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا تنوخ، إني كتبت بكتابي إلى النجاشي فحرّقتها، والله محرّقه، ومحرّق ملكه" رواه عبد الله بن أحمد وأبو يعلى، كما سبق تخريجه.

جواب المقوقس: الاحترام والتقدير:

وأما ردّ المقوقس صاحب القبط فقد بينه لحاطب حامل الكتاب، وقال له: "إني نظرت في أمر هذا النبي، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه، ولم أجده بالساحر الضالّ، ولا الكاهن الكاذب، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء، والإخبار بالنجوى، وسأنظر".

٩٤- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١/٢٤٥، ٥/١٠٣، ٨٥/١٦، ٤٣٩/٢٠، ٦٤.

وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فجعله في حق من عاج، وختم عليه ودفعه إلى جارية له، ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية، فكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم، لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام، أما بعد فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وبكسوة، وأهديت لك بغلة لتركبها، والسلام عليك" (٩٥).

ولكنه مع هذا الرد الحسن لم يسلم، وبعث للنبي صلى الله عليه وسلم بهدايا هي:

- مارية بنت شمعون وأختها سيرين.
 - بغلة وتسمى دلدل بقيت إلى زمن معاوية وكانت شهباء.
 - غلام اسمه مأبور.
 - كسوة.
 - حماره الذي يدعى عُفَيْر.
 - قدح من زجاج كما في مسند أحمد عن ابن عباس لكن في إسناده مقال (٩٦).
- جواب الحارث الغساني: الاحترام والتصديق:

أما جواب الحارث بن أبي شمر، فإنه كان تبعاً لمتبوعه، ألا وهو قيصر، فالحارث لا يملك من سياسته شيئاً، وإنما هو صدى لسياسة الروم، يدور معها حيث دارت، وأنه لا يدع ما هو عليه من التبعية للنصارى، ويولي وجهه إلى المدينة وقد وافاه شجاع بن وهب وهو مشغول بتهيئة الأنزال والألطف لقيصر وهو قادم من حمص إلى إيلياء حيث كشف الله عنه جنود فارس شكراً لله تعالى، وكان الحارث يخاف قيصر فخرج يوماً وجلس فوضع التاج على رأسه فأذن لشجاع عليه فدفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه ثم رمى به، وقال من ينتزع مني ملكي أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئت، علي بالناس. فلم يزل جالساً يعرض حتى الليل، وأمر بالخييل أن تنعل ثم قال: أخبر صاحبك بما ترى.

قال شجاع رضي الله عنه: وكتب إلى قيصر يخبره خبري، فصادف قيصر بإيلياء وعنده دحية الكلبي وقد بعثه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحارث، كتب إليه ألا تسر إليه واله عنه ووافني بإيلياء.

٩٥- عيون الأثر في فنون المغازي والشئال والسير، ٢/ ٣٣٢.

٩٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١/ ٣١٨، ٨/ ٤٨١، الروض الأنف، ٤/ ٣٩٠، عيون الأثر في فنون المغازي

والشئال والسير، ٢/ ٣٣٢.

ورجع الكتاب وأنا مقيم فدعاني وقال: متى تريد أن تخرج إلى صاحبك؟ قلت: غداً فأمر لي بمائة مثقال ذهباً، وقال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: باد ملكه.

ولئن لم ينتفع هذا الملك الضالّ بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حفاظاً على ملكه فقد انتفع حاجبه وهو الذي مرّ ذكره في ترجمة شجاع، وقد أكرم شجاعاً وأحسن ضيافته، وكان رومياً، اسمه: مُرْيٌ وقد رق قلبه حين سمع خبر النبي صلى الله عليه وسلم حتى يغلبه البكاء، وقال: إني قرأت في الإنجيل صفة هذا النبي، وكنت أرى أنه يخرج بالشام، وأنا أومن به وأصدقته، ووصل شجاعاً بنفقة وكسوة، وقال: اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وأخبره أي متبع دينه، قال شجاع: فقدت على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته، وأقرأته منه السلام، وأخبرته بها قال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صدق (٩٧).

جواب هوذة بن علي: استعلاء واستكبار:

وهوذة هو حاكم اليمامة، وقد تقلد الملك حين وقف مع عير الفرس التي قدمت من اليمن وتعرضت له بعض القبائل فأواه، فاتخذ عندهم يداً مكنته من الملك كما سبقت الإشارة إليه، ولما قدم عليه سليط بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم محتوماً أنزله وحباه كونه كان يتردد عليه، وقد أغلظ عليه سليط القول كما سبق في ترجمته، وذكره بأنه إنما سوّده كسرى، وأنه قد ملكه عبدة النار، وأنه لا يحمي ملكه إلا الإيمان، فأجابه هوذة قائلاً: "يا سليط، سوّدي من لو سوّذك شرفت به، وقد كان لي رأي أختبر به الأمور ففقدته، فموضعه من قلبي هواء، فاجعل لي فسحة يرجع إليّ رأيي، فأجيبك به إن شاء الله". ثم لما رجع إليه رأيه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله! وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل إلي بعض الأمر أتبعك". وأجاز سليطاً بجائزة، وكساه أثواباً من نسج هجر، فقدم بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم كتابه، وقال: لو سألتني سبابة من الأرض ما فعلت، باد وباد ما في يديه. فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام بأن هوذة قد مات.

والحقيقة أن هذا الملك لم يكن أصيلاً في ملكه حتى يرفع نفسه بأفعاله إلى مصاف الملوك، وإنما هو تابع لسياسة الفرس، وغرته نفسه بالطمع في الملك فخر الاستجابة لدعوة النبي صلى الله عليه

٩٧- عيون الأثر في فنون المغازي والشبائل والسير، ٢/٣٣٨. وقيل بأن شجاعاً بعث أيضاً إلى جبلة بن الأيهم،

انظر: الروض الأنف، ٤/٣٩٢.

وسلم (٩٨). وكان هودّة بن علي شاعراً فقال في شأن سليط وجوابه عليه:

أتاني سليط والحوادث حجة	فقلت لهم ماذا يقول سليط؟
فقال التي فيها عليّ غضاضة	وفيها رجاء مطمع وقنوط
فقلت له غاب الذي كنت أجتلي	به الأمر عني فالصعود هبوط
وقد كان لي والله بالغ أمره	أبا النضر جأش في الأمور ربيط
فأذهب خوف النبي محمد	فهودّة فه في الرجال سقيط
فأجمع أمري من يمين وشمال	كأني ردود للنبال لقيط
فأذهب ذاك الرأي إذ قال قائل	أتاك رسول للنبي خبيط
رسول رسول الله راكب ناضح	عليه من أوبار الحجاز غبيط
سكرت ودبت في المفارق وسنة	لها نفس عالي الفؤاد غطيّط
أحاذر منه سورة هاشمية	فوارسها وسط الرجال عبيط
فلا تعجلني يا سليط فإننا	نبادر أمرا والقضاء مـحيط

جواب المنذر بن ساوى: التعاون وفتح الطريق لدعاة الإسلام:

هو ملك البحرين، كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع العلاء بن الحضرمي في نفر منهم أبو هريرة، وأوصاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يستوصوا به خيراً، وكان رده على العلاء لما استهل بموعظة بين يدي الرسالة كان لها أعظم الأثر في نفس هذا الملك العاقل، فقال: "قد نظرت في هذا الأمر الذي في يدي، فوجدته للدنيا دون الآخرة، ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا، فما يمنعي من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت، ولقد عجبت أمس ممن يقبله، وعجبت اليوم ممن يرده، وإن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله، وسأنظر".

ثم نظر في أمره، فوجد رعيته المجوس، وأنه لا بد أن يعرض عليهم الأمر، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه: "أما بعد، يا رسول الله: فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلى في ذلك أمرك". فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى؛ سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً

عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية".

وهكذا أسلم المنذر هذا، فسلم أمره وحسن إسلامه، ومات قبل ردة أهل البحرين (٩٩).

جواب جيفر وعبد ابني الجلندي: الاحترام والتصديق:

أما جيفر، فإنه تريت بداية الأمر، وطلب من عمرو بن العاص أن يمهل النظر في شأن الجواب؛ قال: دعني يومي هذا وارجع إليّ غدا، وقال أخوه لعمرو: يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يضمن بملكه، ثم فكر جيفر وقدر فلما كان الغد أبى أن يجسم أمره، واضطرب حتى قام أخوه عبد بإدخال عمرو عليه، فقال له: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله هاهنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالا ليس كقتال من لاقى.

قال له عمرو: وأنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فقال: ما نحن فيما قد ظهر عليه، وكل من أرسل إليه قد أجابه. فأصبح فأرسل إليّ، فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم وخلياً بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني. وكان مما قاله بعد ذلك: "إنه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، وما ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر، وأنه يفي بالعهد وينجز الموعد، وأنه لا يزال سرّ قد اطلع عليه يساوي فيه أهله، وأشهد أنه نبي" (١٠٠).

جواب ملوك اليمن:

لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبي أمية إلى اليمن إلى الحارث بن عبد كلال الأصغر بن سعد بن غريب بن عبد كلال الأوسط الحميري، وأمره أن يقرأ عليه سورة البينة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ (١٠١) فلما قدم عليه قرأها عليه، وقال له: "يا حارث إنك كنت أول من

٩٩- عيون الأثر في فنون المغازي والشهائل والسير، ٣٣٣/٢، جمال الدين بن أبي محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي،

نصب الرابة لأحاديث الهداية، ٤٦٨/١٣، الروض الأنف، ٣٩٠/٤.

١٠٠- الروض الأنف، ٣٩٢/٤، عيون الأثر في فنون المغازي والشهائل والسير، ٣٣٦/٢.

١٠١- سورة البينة، الآية: ١.

عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فخطت عنه وأنت أعظم الملوك قدراً، فإذا نظرت في غلبة الملوك فانظر في غالب الملوك، إنك أنت أعظم الملوك، قد أفاد أسرك، فخف غدك، وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها وبقيت أخبارها، عاشوا طويلاً وأملوا بعيداً وتزودوا قليلاً، منهم من أدركه الموت، ومنهم من أكلته النقم، ... إلى آخر ما سبق في ترجمته".

فقال الحارث: "قد كان هذا النبي عرض نفسه علي فخطت عنه، وكان دُخراً لمن صار إليه، وكان أمره أمراً سبق، فحضره اليأس وغاب عنه الطمع، ولم يكن لي قرابة أحتمله عليها، ولا لي فيه هوى أتبعه له، غير أني أرى أمراً لم يوسوسه الكذب، ولم يسند الباطل، له بدء سار، وعاقبة نافعة وسأُنظر".
ونظر الحارث في أمره ملياً، وشاور أقبال اليمن، وطال تردده، وتأخر جوابه قال أبو الربيع: وتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك إنما كان بعد انصرافه من الحديبية، آخر سنة ست، وأول سنة سبع، فلعل المهاجر - والله تعالى أعلم - توجه إلى الحارث بن عبد كلال فصادف منه يومئذ تردداً ثم جلى الله عنه العمي، فعند ذلك أرسل هو وأصحابه بإسلامهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٠٢).
وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي إلى ذي الكلاع الحميري وذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام، فأسلما، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم، وبعث عيَّاش ابن أبي ربيعة المخزومي بكتاب إلى الحارث ومسروح ونعيم بن عبد كلال من حمير، وبعث إلى زرعة بن سيف بن ذي يزن.

قال ابن حجر بعد أن ذكر حديث المسور بن مخزوم الذي رواه الطبراني في بعثته عليه الصلاة والسلام للملوك: "وزاد أصحاب السير أنه بعث المهاجر بن أبي أمية إلى الحارث بن عبد كلال، وجريراً إلى ذي الكلاع..." (١٠٣).

رد ملوك اليمن: المناصرة والتأييد:

لقد تكفل ملك اليمن زرعة بن ذي يزن بالجواب على النبي صلى الله عليه وسلم، وأرسل إليه ذابن مالك بن مرارة الرهاوي، فقدم بكتاب ملوك حمير على النبي صلى الله عليه وسلم مقدمه من تبوك في شهر رمضان من السنة التاسعة للهجرة، وفيها إسلام الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، وزرعة بن ذي يزن، والنعمان قبيل ذي رعين وهمدان ومعافر ومفارقتهم الشرك وأهله.

١٠٢ - الروض الأنف، ٤/٣٩٢.

١٠٣ - زاد المعاد، ١/١١٦، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٢/٢٤٧.

ومما كتب به الحارث بن عبد كلال للنبي صلى الله عليه وسلم:

ودينك دين الحق فيه طهارة وأنت بما فيه من الحق أمر

فكتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي يزن: "أما بعد، فإني أحمد إلكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فقد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم، فلقينا بالمدينة، فبلغ ما أرسلتم، وخبر ما قبلكم، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين، وأن الله عز وجل قد هداكم بهديته إن أصلحتهم، وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من المغانم خمس الله تعالى وسهم نبيه وصفيه"، وذكر القصة بطولها في الزكاة وغيرها.

ومما ورد في رسالته عليه الصلاة والسلام إلى زرة خاصة: "أما بعد، إذا أتتكم رسلي فأوصيكم بهم خيراً: معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد وعقبة بن مالك وأميرهم معاذ بن جبل، فلا يتقلبن إلا راضياً، ثم إن مالك بن مرة حدثني أنك قد أسلمت من أول حمير، وقتلت المشركين فأبشر بخير، وأمرك بحمير خيراً" (١٠٤).

وقد ورد من حديث أبي بكر بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسنن والديات، وبعث به مع عمرو بن حزم، فقريء على أهل اليمن، وهذه نسخته: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم إلى شريحيل بن عبد كلال والحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال، قيل: ذي رعين ومعافر وهمدان، أما بعد، فقد رجع رسولكم وأعطيتم من المغانم خمس الله وما كتب الله على المؤمنين من العشر في العقار، وما سقت السماء وكان سيحاً أو كان بعلاً فيه العشر إذا بلغ خمسة أوسق... وهو حديث طويل في الزكاة" (١٠٥).

هذا ما تحصل لنا في مكاتبة ملوك اليمن للنبي صلى الله عليه وسلم جواباً حسناً، ورداً جميلاً حيث دخلوا في دين الله عز وجل فأكرم بموقفهم وأنعم.

سنة الله في الملوك:

نستطيع الآن، وقد أشرنا على ختام هذه الدراية أن نعرج على شيء من سنة الله الماضية في الملوك

١٠٤ - أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١/ ٣٨١، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ١/ ٤٠٦، الكامل في التاريخ، ١/ ٣٤٦،

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢/ ٨٠.

١٠٥ - أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، السيرة النبوية، ٤/ ١٤٥، الطبراني، الأحاديث الطوال، ١/ ١٠٦.

والأمم، وهي سنة أصلها القرآن، وأبانها أتم بيان في السنة في الأمم السابقة التي عنت عن أمر الله، وكان في خبر فرعون اذكار لكل ذي لب.

وفي حديثنا عن دعوة الملوك والأمراء للإسلام نستحضر هذه السنة الباقية، فقد كانت ردود الملوك متباينة كل التباين، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، وكل قسم يختلف موقف أصحابه، والأقسام هي:

- الذين استجابوا لدعوة الحق واتبعوا الرسول النبي الأمي، وهم: النجاشي أصحابه ملك الحبشة، وملك البحرين، وملك عمان، وملوك اليمن.

- الذين ضنوا بملكهم بعد تردد، ولكنهم أكرموا سفراء الإسلام، وأهدوا للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يسلموا خوفا على زوال ملكهم من قبل الأتباع، وبعثوا بالهدايا خوفا على زوال ملكهم من قدوم الإسلام، وهم: هرقل ملك الروم، والمقوقس ملك مصر، ثم يأتي بعدهما في الرد ملك الغساسنة الذي استعرض قوته أمام سفير الإسلام، وملك اليمامة الذي عرض المشاركة في الملك، وما دفعها إلى ذلك إلا أنهم تابعان لقيصر وكسرى.

- الذين بالغوا في الإساءة، وأغلظوا في الرد، وهم: كسرى الذي مزق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجاشي الذي حرق الكتاب، فدعا عليهما رسول الله، فالأول مزق ملكه، والثاني حرق الله ملكه، والله غالب على أمره.

فأما من أسلم، فقد سلم له ملكه وفاز، وأما من جاشت نفسه، وخاف على ملكه فقد ذهب وزال، وأما من تحدى وصال بقوته فمزقه الله شر ممزق.

فيا دعاة الإسلام دونكم سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام لم تذهب، وستته لم تبل، وهدية لم يحرف، فخذوا منه تفلحوا، وترسموا خطاه تنجحوا.

إن على الدعاة أن يمشوا في درب الدعوة مستعينين بالله، ومتوكِّلين عليه، تاركين العجز والكسل الذي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم بالله تعالى، مع مراعاة الأخذ بالأسباب التي تحقق الوصول إلى قلوب الناس، ودراسة الهدى النبوي، وواقع الأمة حتى يتم المقصود.

فإن قاموا بمخاطبة العالم متمسكين بهذين الأصلين، التوكُّل على الله مع الأخذ بالأسباب، فلا يضيرهم مخالفة المحادين عن شرع الله، وليعلموا سنة الله في الملوك، فإن العاقبة للمتقين.

عودة الفرس والروم:

إننا بحاجة ماسة في مخاطبة العالم بهذه المعالم الواضحة من غير إفراط ولا تفريط، بل علينا بالنمط الأوسط الذي يرد إليه الغالي والجافي، وقد ابتليت الدعوة إلى دين الله بصنفيين:

الأول: يقصر عن القيام بواجبه، ويقعد عن حملها بين الناس، ويبطئ ويتعذر ويبسط لنفسه كل المعاذير تشبها بالمنافقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والصنف الثاني: رام الشطط وحالف التسرع، فلا يجسب للمواقف حسابها، فعاد بالخسران.

ويا سبحان الله العظيم، فقد استدار الزمان، ورجعت سطوة فارس والروم لتمتد إلى أرض الإسلام، ونحن في هذا العصر الذي أشرقت فيه رسالة الإسلام على الكون، وقامت وسائل الإعلام ببثها إلى أصقاع العالم، ومع هذا الانتشار فقد عادت قوة فارس والروم بسبب ضعف المسلمين، ومن العجب أن يكون القادة تبعاً لأهوائهم كما كان العهد الأول.

وإننا إذ نسمع عن تقاسم بلاد الإسلام بينها، فمن الذي يخاطب هؤلاء بدعوة الإسلام؟ ومن الذي يترسم هديه عليه الصلاة والسلام في الدعوة.

لقد فسدت الأمور، وزاد من فسادها ما نسمع ونرى من الفتن العظيمة التي تترقق بعضها، وسئم الناس من هذا الفساد الذي لم يجد شيئاً إلا غيره، واشترأت الأعناق للخلاص، فيا دعاة الإسلام جاء دوركم فابعثوا الدعوة طرية، ونادوا بها في الناس، وخاطبوا بها العالم، فإنها الحق، وبالله التوفيق.

الخاتمة:

إن رسائل النبي صلى الله عليه وسلم وما حملته من معاني سامية يجب أن تكون نصب أعين الدعاة إلى الله، يستفيدوا منها كل الاستفادة. وقد جاء بحثنا هذا في مبحثين بين المقدمة والخاتمة:

وقد تم في المبحث الأول أخذ ما يلي:

- ناقشنا حالة البلاد التي خاطب النبي صلى الله عليه وسلم ملوكها من حيث موقعها وتاريخها وفكرها مناقشة تعين على فهم الرسائل.
- ذكرنا الفترة التي تمت فيها مخاطبة العالم، وأنها بعد صلح الحديبية الذي أتاح الانصراف إلى مخاطبة الملوك بعد أن انتهت مشاغبة قريش للمسلمين.
- خضنا في تراجم سفراء الإسلام، وذكر مواصفاتهم التي كانوا عليها فأهلتهم للقيام بهذه المهمة أتم قيام.

أما المبحث الثاني فقد عرض للمسائل التالية:

- نصوص الرسائل النبوية.
- تحليل المعالم البارزة التي حوتها.
- مناقشة جواب الملوك واختلافهم في ذلك.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن ينفع بهذه الدراسة كل من أسهم فيها، وأعان على إخراجها، وهي دعوة من العالم العربي إلى العالم أجمع أن يصغي لها ليتفتح، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بعض صور رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء

